وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كليَّة العلوم الإسلاميَّة

قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة

الدراسات العليا

المجتمعات الإسلامية في المنظور القرآني

(أسباب الضعف والتفكك) دراسة أكاديمية معاصرة

رسالة مقدَّمة

إلى مجلس كليَّة العلوم الإسلاميَّة – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن تخصُّص (تفسير)

من قبل الطالب

غسان عدنان جبار

بإشراف

أ. د. مصطفى هذال خميس

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم
بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ
وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم
مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ
صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

سورة آل عمران: آية/١٥٢

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعدادَ هذهِ الرسالة الموسومة بـ(**المجتمعات الإسلامية في المنظور القرآني (اسباب الضعف والتفكك) دراسة اكاديمية معاصرة)** الَّتي قدَّمها الطالب **(غسان عدنان جبار)** قد جرى بإشرافي في كُلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلَّبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن **(تخصص تفسير)**.

المشرف

أ. د. مصطفى هذال خميس

التأريخ: / / ٢٠٢٢م

توصية رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة: بناءً على التوصيات المتوافرة، أُرشح هذهِ الرسالة للمناقشة.

أ. م. د. أحمد عبود علوان

رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة

التأريخ: / / ٢٠٢٢م

أ. د. فاضل أحمد حسين

معاون العميد للشؤون العلمية

التأريخ: / / ٢٠٢٢م

إقرار لجنة المناقشة

نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة نشهدُ أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ **(المجتمعات الإسلامية في المنظور القرآني (اسباب الضعف والتفكك) دراسة اكاديمية معاصرة)** التي قدّمها الطالب **(غسان عدنان جبار)** إلى مجلس كلية العلوم الاسلامية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن. وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها، وفي ما له علاقة بها، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في علوم القرآن تخصص (تفسير)، بتقدير ( ).

أ. د. عوض جدوع أحمد

التأريخ: / / ٢٠٢٢م

رئيسًا

أ. م. د. شاكر محمود مهدي

التأريخ: / / ٢٠٢٢ م

عضواً

أ. م. د. عمار حكمت فرحان

التأريخ: / / ٢٠٢٢ م

عضوًا

أ. د. مصطفى هذال خميس

التأريخ: / / ٢٠٢٢ م

عضواً ومشرفًا

صادق على الرسالة مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى، بتأريخ / / ٢٠٢٢م.

أ. د. عمر عبدالله نجم الدين

عميد كلية العلوم الاسلامية

التأريخ: / / ٢٠٢٢م

الإهداء

إلى نبي الرحمة وأشرف الخلق وصاحب الخلق العظيم وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا النبي الأمين (محمد ﷺ).

إلى منبع الصبر والتفاؤل، إلى النفس الزكية، إلى صاحبة القلب الأبيض، التي كانت وما زالت دعواتها سببا في نجاحي في حياتي (أمي الحبيبة) حفظها الله تعالى.

إلى المتفضل عليَّ بعد الله(ﷻ)، إلى ملاذي الآمن، إلى من كان يتابعني ويحثني على طلب العلم (أبي العزيز) رحمه الله تعالى.

إلى زوجتي الوفية الغالية التي صبرت وتعبت في تهيأت الأجواء المناسبة لكي أصل إلى هذا المستوى من العلم، وكذلك إلى أولادي، حفظهم الله تعالى جميعاً.

إلى إخوتي وأخواتي وجميع أسرتي، وإلى كل من ساعدني ومهد الطريق أمامي من أساتيذ وزملاء.

أهدي هذا الجهد المتواضع سائلا العلي العظيم الرضا والقبول.

الباحث

الشكر والثناء

الشكر إلى المتفضل علينا بالنعم الكثيرة الله(ﷻ)، حيث قال في كتابه العزيز: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾، (سورة الأحقاف: آية/١٥).

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أتوجه بالشكر والعرفان والإمتنان إلى أستاذي الفاضل **(أ. د. مصطفى هذال خميس)** الذي رافقني وتفضل بالإشراف على رسالتي فقد أفادني بإرشاداته وتوجيهاته السديدة، وبذل معي جهداً كبيراً ووسعني قلبه، و الذي منحني من فكره ورأيه، حفظه الله تعالى.

كما أتوجه بالشكر الجزيل والإمتنان إلى **(أ. د. مشتاق ناظم نجم)**، وإلى **(أ. د. عماد أموري جليل)**، وإلى **(أ. د. علي عبد كنو)**، وإلى **(أ. د. منشد فالح وادي)** الذين إنتفعت برأيهم وإرشاداتهم، حفظهم الله تعالى جميعاً.

والشكر موصول أيضاً إلى عمادة كلية العلوم الإسلامية، وكذلك إلى رئاسة قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، والشكر موصول إلى جميع أساتذتي في قسم علوم القرآن خاصة وفي كلية العلوم الإسلامية عامة، الذين درست على ايديهم وإستفدت من خبرتهم وعلمهم، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

وأتوجه أيضاً بوافر الشكر والإمتنان إلى أعضاء اللجنة الموقرة الذين تفضلوا مشكورين بقبول مناقشة رسالتي وإعطائهم الملاحظات العلمية مما لها الأثر الكبير في تقويمها، جزاهم الله عنا خير الجزاء.

و كما اتوجه بالشكر والامتنان الى والديّ اللذان لهما الاثر الكبير في وصولي الى هذه المرحلة، وكذلك أشكر زوجتي على دعمها وتشجيعها الدائم لي، التي رافقتني اثناء كتابة رسالتي، أسأل المولى(ﷻ) أن يحفظكِ ويديم عليكِ الصحة والعافية، وكذلك الشكر إلى إخوتي وأخواتي وزملائي وزميلاتي الذين أعانوني ولو بكلمة أو نصيحة أو إرشاد، ومدوا يد العون في إنجاز رسالتي.

ومن الله التوفيق

الباحث

ت	المحتويات	رقم الصفحة
١	الآية الكريمة	أ
٢	إقرار المشرف	ب
٣	إقرار لجنة المناقشة	ج
٤	الإهداء	د
٥	الشكر والثناء	هـ
٦	المحتويات	و-ز
٧	المقدمة	١-٦
٨	التمهيد: الإيطار المفاهيمي	٧
٩	المطلب الأول: تعريف المجتمع	٨-١٠
١٠	المطلب الثاني: تعريف الإسلام	١٠-١٢
١١	المطلب الثالث: تعريف المنظور	١٢-١٣
١٢	المطلب الرابع: تعريف القرآن	١٤-١٦
١٣	المطلب الخامس: تعريف التفكك	١٧-١٨
١٤	الفصل الأول: أسباب الضعف والتفكك في المجتمعات الإسلامية في ضوء المنظور القرآني	١٩
١٥	المبحث الأول: الأسباب الابتعاد عن التعاليم الدينية	١٩
١٦	المطلب الأول: الإعراض عن أوامر الله والتولي عن سبيل المؤمنين	٢٠-٣٧
١٧	المطلب الثاني: ضعف الإيمان والعبادة وظهور أهل البدع	٣٧-٥٣
١٨	المطلب الثالث: التنازع بين المسلمين و الجدال والخصومة في الدين	٥٣-٦٥
١٩	المبحث الثاني: الأسباب الاجتماعية	٦٦
٢٠	المطلب الأول: ضعف اللغة العربية وذهاب العلم وظهور الجهل وتقحم المسائل بغير علم	٦٧-٨١
٢١	المطلب الثاني: التكبر والإستكبار و حب الرئاسة والشهرة	٨١-٩٥

٢٢	المطلب الثالث: سوء التنشئة الاجتماعية والتأثير السلبي لوسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي	٩٥-١٠٧
٢٣	**الفصل الثاني: أثر الضعف والتفكك في المجتمعات الإسلامية وطرق العلاج في ضوء المنظور القرآني**	١٠٨
٢٤	المبحث الأول: أثر الضعف والتفكك في المجتمعات الإسلامية	١٠٨
٢٥	المطلب الأول: الخيبة والحرمان والذلّ والهوان	١٠٩-١٢٧
٢٦	المطلب الثاني: الإلحاد وفساد الزمان وتغير الأحوال	١٢٧-١٤٥
٢٧	المطلب الثالث: تسلط الأعداء وسقوط الدول وزوال الممالك	١٤٥-١٥٢
٢٨	المبحث الثاني: طرق العلاج في ضوء المنظور القرآني	١٥٣
٢٩	المطلب الأول: العودة إلى القرآن الكريم وإلى الأحاديث النبوية	١٥٤-١٦٦
٣٠	المطلب الثاني: الوحدة والأخوة بين المسلمين والصبر على الصعاب	١٦٦-١٧٨
٣١	المطلب الثالث: تولي الفتوى ومنع المتلاعبين بها والتمسك بالعلم الشرعي	١٧٨-١٩٢
٣٢	الخاتمة	١٩٣
٣٣	المصادر والمراجع	١٩٤-٢٠٨

المقدمة

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله(ﷺ)، ورضي الله تعالى عن آل البيت والصحابة والتابعين ومن تبع نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

الحمد لله الذي أنار لنا طريق الحق وزودنا بالعلم ومكننا من البحث في هذا الموضوع، الذي يعتبر قضية من القضايا الهامة، والتي بدأت منذ بداية الدعوة الإسلامية، وقامت بالزيادة يوماً بعد آخر، حتى أصبحت اليوم حديث العصر، والذي نراه اليوم ما يحصل في المجتمعات الإسلامية من تفكك وتمزق وتشظي ولأسباب عدة تناولناها في هذه الرسالة، فمنها دينية وأخرى اجتماعية، ولهذا التفكك آثار على المجتمعات الإسلامية وكذلك له طرق علاجية. فنحن أمة تنتصر بطاعتها لله (ﷻ) وإتباعها لرسولها (ﷺ)، وتنكسر بعصيانها لله ورسوله وبعدها عن شرع الله وهداه، ولعل في هذا اختصارٌ لأسباب الضعف والتفكك.

وعندما صدق سلفنا مع الله أيدهم الله بانتصارات كثيرة، ومنها فتح قبرص على يد المسلمين، وقد بكى أبو الدرداء (رضي الله عنه) عند فتح قبرص، فقيل له: (تبكي في يوم نصر الله فيه دينه وأعز فيه جنده. فقال (رضي الله عنه): أبكي على حال هؤلاء الذين عصوا الله فسلطنا عليهم، وأخشى أن يأتي يوم يُقصر فيه المسلمون في طاعة الله فيسلط عليهم عدوهم)[1].

وإذا تتبع المسلم أقوال النبي (ﷺ) وقبل ذلك آيات القرآن الكريم، وقف على جملةٍ من عوامل الضعف والهزيمة، فقد جاء في سياق الحديث عن غزوة أحد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ

(1) ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م، ج٧/ص١٧٢.

ٱلۡأٓخِرَةَ﴾[1]. وكذلك إذا نظر الإنسان في قول النبي (ﷺ): (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)، فقال قائل: أومن قلةٍ نحن يومئذ؟ قال: (بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن)، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت)[2]. ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أسباب الضعف والانكسار الذي تمر به معظم بلاد المسلمين في الوقت الحاضر. وإنَّ هذا الضعف والتفكك له آثار عدة تأثر في الفرد و المجتمع، فهذه الآثار تعتبر بمثابة العقوبة للأشخاص الذين ساروا على نهج التفكك والتمزق بين أبناء المجتمع الواحد، وإذا أراد الإنسان أن يعالج هذا التفكك ويختصر أسباب النصر عليه أنْ يصدق مع الله ورسوله (ﷺ)، والعودة اليهما وأنْ يسير على نهجهما، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾[3].

أهمية الدراسة:

إنَّ للموضوع أهمية كبيرة وبالغة؛ لما تعانيه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر من تدهور وتفكك وانكسار وتردي في حال المجتمع الإسلامي الذي كان يتصدر الديانات الأخرى في جميع مجالات الحياة، أما اليوم فنجد أنَّ المجتمع الإسلامي يتعرض إلى التحديات الداخلية والخارجية من الضعف والتخلف والغلو والتطرف، وإذا أردنا أنْ ننقذ أنفسنا من هذه التحديات الخطيرة، فليس أمامنا خيار غير خيار العلم الشرعي الذي نستطيع من خلاله فهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فهماً صحيحاً، فالعلم يساعد على النهوض في المجتمع وإخراجه من الظلمات والشبهات إلى النور والبصيرة، وكذلك التقدم الحضاري الذي من خلاله نستطيع أنْ نلحق بسائر الدول المتقدمة.

([1]) سورة آل عمران: آية/١٥٢.

([2]) صحيح أبي داود، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، باب في تداعي الامم على الاسلام، ص٧٦٩، رقم الحديث: ٤٢٩٧، قال الألباني: حديث صحيح.

([3]) سورة الجن: آية/١٦.

أسباب اختيار الموضوع:

١) الواقع المحزن الذي يعيشه المجتمع الإسلامي، بسبب تفككه وهذا التفكك أدى إلى الاعتداءات و التجاوزات الخارجية من قبل الأعداء والمستعمرين.
٢) الخراب والدمار الحاصل في المجتمع الإسلامي من الغلو والتعصب في بعض المسائل بسبب عدم التوحد، والتشتت في الرأي الذي أدى إلى الاقتتال بين فئات المجتمع الإسلامي.
٣) فيجب علينا نحن القيام بتوعية الجيل القادم بما أصاب أمتنا الإسلامية من تدهور وضعف وتفكك حتى لا يقعوا في نفس الأخطاء.

اهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية هذه الموضوع الحساس والوقوف على أهم المشاكل التي أدت إلى التفكك في المجتمعات الإسلامية ووضع الحلول المناسبة لها، حتى لا تتأثر الأجيال القادمة في مثل هذه المشاكل، وكذلك حتى يعيش مجتمعنا بسلام وأمان ووحدة لأن بوحدتنا تكمن قوتنا.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والمحاولات المتكررة من التقصي عن الدراسات السابقة في هذا الموضوع لم أجد دراسة سابقة تناولت موضوع التفكك بالصورة التي تناولتها، إلا أنني وجدت بعد مطالعتي بعض المفردات قد تكون لها علاقة برسالتي وهي على النحو الآتي:-

١) رسالة ماجستير بعنوان: الأخطار المحدقة بالمجتمعات الإسلامية المعاصرة وطرق معالجتها (دراسة فكرية دعوية)، كلية الأمام الأعظم(رحمه الله تعالى) للطالب يوسف أحمد محمد.
٢) رسالة ماجستير بعنوان: آثار الاستعمار السياسي الحديث في المجتمعات الإسلامية وسبل معالجتها (دراسة فكرية)، كلية الأمام الأعظم(رحمه الله تعالى) للطالب أنور عمر أحمد.
٣) رسالة ماجستير بعنوان: أثر ضوابط الطلاق في حماية المجتمع المسلم من التفكك الأسري، كلية الأمام الأعظم(رحمه الله تعالى) للطالب يحيى ستار حمد.

منهج البحث:

اعتمدت المنهج الاستقرائي الناقص، وذلك بجمع الآيات القرآنية التي تخص الموضوع ثم تفسيرها من خلال الاعتماد على مصادر التفسير.

منهج الكتابة:

١) الاستعانة بالأحاديث النبوية التي تخدم الموضوع والاستشهاد بها على ما ورد في الرسالة.
٢) تخريج الأحاديث من مظانها وذكر حكم العلماء عليها إنَّ لم تكن في الصحيحين.
٣) الحرص على الأمانة العلمية والرجوع إلى المصادر الأصيلة.
٤) الترجمة للأعلام غير المعروفين الوارد ذكرهم في ثنايا البحث.
٥) ذكر الوقائع والقصص التي تخص الموضوع.
٦) اعتمدت في تفسير كل آية على المصادر القديمة والحديثة.
٧) بينت معاني الألفاظ الغريبة.
٨) ترتيب المصادر والمراجع حسب الأحرف الهجائية.

خطة الرسالة:

وقد اقتضت خطة رسالتي الموسومة بـ **(المجتمعات الإسلامية في المنظور القرآني (أسباب الضعف والتفكك) دراسة اكاديمية معاصرة)** على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، وهي على النحو الآتي:-

التمهيد: الإيطار المفاهيمي

الفصل الأول: أسباب الضعف والتفكك في المجتمعات الإسلامية في ضوء المنظور القرآني

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب الابتعاد عن التعاليم الدينية

المبحث الثاني: الأسباب الاجتماعية

الفصل الثاني: أثر الضعف والتفكك في المجتمعات الإسلامية وطرق العلاج في ضوء المنظور القرآني

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر الضعف والتفكك في المجتمعات الإسلامية.

المبحث الثاني: طرق العلاج في ضوء المنظور القرآني.

الخاتمة

المصادر والمراجع

التـــمهيـــد

الإيطار المفاهيمي

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المجتمع

المطلب الثاني: تعريف الإسلام

المطلب الثالث: تعريف المنظور

المطلب الرابع: تعريف القرآن

المطلب الخامس: تعريف التفكك

المطلب الأول: تعريف المجتمع

أولاً: المجتمع لغةً:-

يمكن تعريف المجتمع في اللغة بإنه(هو من المصدر جمع والْجِيمُ وَالْمِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى تَضَامِّ الشَّيْءِ. يُقَالُ جَمَعْتُ الشَّيْءَ جَمْعًا. وَالْجُمَّاعُ الْأُشَابَةُ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى)[1].

وكذلك هو من المصدر جمع أي جمعت الشيء المتفرق فاجتمع، والرجلُ المُجْتَمِعُ: الذي بلغ أَشُدَّهُ، والجمع قد يكون اسماً لجماعة الناس[2].

ويعرف ايضاً جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع واجْتَمَعَ، وَهِيَ مُضَارَعَةٌ، وَكَذَلِكَ تجمَّع واسْتجمع[3].

وهو إذا أَرَدْتَ جَمْعَ المُتَفَرِّقِ قُلْتَ: جَمَعْتُ القَوْمَ فهم مَجْمُوعُونَ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾[4]، قَالَ: وإِذَا أَرَدْتَ كَسْبَ المالِ قُلْتَ: جَمَّعْتُ المَالَ[5]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾[6].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج١/ص٤٧٩، مادة (جَمَعَ).

(2) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج٣/ص١١٩٨، مادة (جَمَعَ).

(3) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج٨/ص٥٣، مادة (جَمَعَ).

(4) سورة هود: آية/١٠٣.

(5) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج٢٠/ص٤٦٥، مادة (جَمَعَ).

(6) سورة همزة: آية/٢.

(المتفرق جمعا ضم بعضه إِلَى بعض، وَالله الْقُلُوب ألفها فَهُوَ جَامع وجموع أَيْضا وَمجمع وجماع وَالْمَفْعُول مَجْمُوع وَجَمِيع وَيُقَال جمع الْقَوْم لأعدائهم حشدوا لقتالهم)[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾[2].

ثانياً: المجتمع اصطلاحاً:-

هو عبارة عن نسيج مكون من صلات اجتماعية، كصلة الآباء بالأبناء، وصلة الأقرباء بالأقرباء، وصلة الجوار، وصلة الصداقة، وصلة العالم بالمتعلم، وصلة الحاكم بالرعية، ويمكن أنْ نقابلها بالعلاقات القائمة بين الكائنات الحية المادية، فهنالك صلة بين الشمس والأرض، وصلة بين الدخان والنار، وصلة بين عنصرين كيماويين[3].

وقيل: (هو مجموعة من الأفراد يربط بينها رابط مشترك يجعلها تعيش عيشة مشتركة تنظم حياتها في علاقات منتظمة معترف بها فيما بينهم)[4].

ثالثاً: المجتمع في علم الاجتماع:-

ويمكن تعريف المجتمع في علم الاجتماع بأنه: تجمع كتل سكانية في موقع معين، يتفق أفرادها على عادات وثقافات معينة[5].

---

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، دار الدعوة، ج١/ص١٣٤، مادة (جَمَعَ).

(2) سورة آل عمران: آية/١٧٣.

(3) ينظر: المجتمع الإسلامي، الدكتور محمد أمين المصري، دار الارقام، الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص١١-١٢.

(4) المجتمع الإسلامي المعاصر، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م، ص٧.

(5) تعريف المجتمع في علم الاجتماع – سطور https://sotor.com , تأريخ النشر: ٢٠١٩/١١/٦م، تأريخ الاستفادة: ٢٠٢٢/١٠/٢٧م.

رابعاً: المجتمع الإسلامي:-

هو ذاك المجتمع الذي يتميز عن المجتمعات الأخرى بقوانينه، ونظامه الذي يستمد أحكامه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهو المجتمع الذي يشترك أفراده بعقيدة واحدة، ويتوجهوا إلى قبلة واحدة برغم تعدد الأجناس والأعراق والأقوام، واختلاف اللغات والأعراف[١].

المطلب الثاني: تعريف الإسلام

أولاً: الإسلام لغةً:-

(وأَسْلَمَ أَمره للَّه أَي سَلَّمَ، وأَسْلَمَ أَي دَخَلَ فِي السِّلْمِ، وَهُوَ الاسْتِسْلامُ، وأَسْلَمَ مِنَ الإِسْلامِ)[٢].

(أسلم: انْقَادَ وأخلص الدّين لله وَدخل فِي دين الْإِسْلَام وَدخل فِي السّلم وَعَن الشَّيْء تَركه بعد مَا كَانَ فِيهِ وَفِي البيع تعامل بالسلم وَالشَّيْء إِلَيْهِ دَفعه وَأمره لَهُ وَإِلَيْهِ فوضه وَالْخَيْط وَنَحْوه انْقَطع فَتَتَاثَرَ مِنْهُ الخرز وَنَحْوه وَفُلَانًا خذله وَأَهْمَلَهُ وَتَركه لعَدوه وَغَيره ... (الْإِسْلَام) إِظْهَار الخضوع وَالْقَبُول لما أَتَى بِهِ مُحَمَّد (ﷺ) وَالدّين الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّد (ﷺ))[٣].

ثانياً: الإسلام اصطلاحاً:-

(الإسلام: هو الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول(ﷺ))[٤].

---

(١) مفهوم المجتمع الإسلامي، موضوع، طلال مشعل، https://mawdoo3.com، تأريخ النشر: ٢٠١٨/٨/١٤م، تأريخ الاستفادة: ٢٠٢٢/١٠/٢٧م.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢/ص٢٩٥، مادة (أسلم).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، ج١/ص٤٤٦، مادة (أسلم).

(٤) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ج١/ص٢٣.

وقيل هو:(الاعتراف باللسان، وإنَّ لم يكن له اعتقاد، وبه يحقن الدم؛ وفوق الإيمان؛ وهو الاعتراف مع الاعتقاد بالقلب والوفاء بالفعل)[١].

الانقياد إلى الأعمال الظاهرة[٢]، كما بين ذلك النبيّ (ﷺ) بقوله: (بُنِي الإسلامُ عَلى خَمْسٍ: شَهادةِ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وأنَّ مُحمَّداً عَبْدُه وَرَسولُهُ، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وحَجِّ البيتِ، وصَومِ رَمضانَ)[٣]، ولفظه (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسِ دَعَائِمَ)، وَالْمَقْصُودُ تَمْثِيلُ الْإِسْلَامِ بِبُنْيَانِهِ وَدَعَائِمُ الْبُنْيَانِ هَذِهِ الْخَمْسُ، فَلَا يَثْبُتُ الْبُنْيَانُ بِدُونِهَا، وَبَقِيَّةُ خِصَالِ الْإِسْلَامِ كَتَتِمَّةِ الْبُنْيَانِ، فَإِذَا فُقِدَ مِنْهَا شَيْءٌ، نَقَصَ الْبُنْيَانُ وَهُوَ قَائِمٌ لَا يَنْتَقِضُ بِنَقْصِ ذَلِكَ، بِخِلَافِ نَقْضِ هَذِهِ الدَّعَائِمِ الْخَمْسِ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَزُولُ بِفَقْدِهَا جَمِيعًا بِغَيْرِ إِشْكَالٍ، وَكَذَلِكَ يَزُولُ بِفَقْدِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَأَمَّا إِقَامُ الصَّلَاةِ، فَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ مُتَعَدِّدَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ تَرَكَهَا، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ[٤].

الإسلام: وهو الخضوع والانقياد بما أخبر الرسول(ﷺ)، وهو أنْ كل ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام وما واطأ فيه القلب فهو إيمان[٥].

ويمكن تعريف الإسلام في الاصطلاح: بأنه دين الله تعالى الذي ارتضاه للبشرية جمعاء، ومعناه استسلام جميع الخلائق لأوامر الله تعالى الكونية القدرية والشرعية. ومنه قول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

---

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١/ص١١٢.

(٢) ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ابن القاضي، ج١/ص١٧٨.

(٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، ج١/ص٣٧- ٣٨، رقم الحديث: ٨.

(٤) ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج١/ص١٤٥.

(٥) ينظر: دستور العلماء، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق ١٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج١/ص٦٢.

وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1]، هو الدين الذي جاء به نبينا محمد (ﷺ) إلى جميع الناس وهو خاتم الدّيانات السّماويّة. كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

المطلب الثالث: تعريف المنظور

أولاً: المنظور لغةً:-

(نَظَرَ) النُّونُ وَالظَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ وَهُوَ تَأَمُّلُ الشَّيْءِ وَمُعَايَنَتُهُ، وَيَقُولُونَ: نَظَرْتُهُ، أَيِ انْتَظَرْتُهُ. وَهُوَ ذَلِكَ الْقِيَاسُ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ. وَمِنْ بَابِ الْمَجَازِ وَالِاتِّسَاعِ قَوْلُهُمْ: نَظَرَتِ الْأَرْضُ: أَرَتْ نَبَاتَهَا. وَهَذَا هُوَ الْقِيَاسُ. وَيَقُولُونَ: نَظَرَتْ بِعَيْنٍ. وَمِنْهُ نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَى بَنِي فُلَانٍ فَأَهْلَكَهُمْ. وَهَذَا نَظِيرُ هَذَا، مِنْ هَذَا الْقِيَاسِ؛ أَيْ إِنَّهُ إِذَا نُظِرَ إِلَيْهِ وَإِلَى نَظِيرِهِ كَانَا سَوَاءً. وَبِهِ نَظْرَةٌ، أَيْ شُحُوبٌ، كَأَنَّهُ شَيْءٌ نُظِرَ إِلَيْهِ فَشَحَبَ لَوْنُهُ[3].

(النظر: تأمل الشيء بالعين، وكذلك النَظَرانُ بالتحريك. وقد نَظَرْتُ إلى الشئ. والنظر: الانتظار. ويقال: حَيٌّ حِلالٌ ونَظَرٌ، أي متجاورون يرى بعضهم بعضاً. وداري تَنْظُرُ إلى دار فلان، ودورنا تَناظَرُ، أي تقابل)[4].

النَّظَر: حِسُّ الْعَيْنِ، نَظَره يَنْظُره نَظَراً ومَنْظَراً ومَنْظَرة ونَظَر إليه... والنَّظَّارة: الْقَوْمُ ينظُرون إلى الشَّيْءِ[5]. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[6].

---

(1) سورة آل عمران: آية/٨٣ .

(2) سورة الأنبياء: آية/١٠٧ .

(3) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٥/ص٤٤٤، مادة (نَظَرَ).

(4) الصحاح، الجوهري، ج٢/ص٨٣٠، مادة (نَظَرَ).

(5) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٥/ص٢١٥، مادة (نَظَرَ).

(6) سورة البقرة: آية/٥٠.

ثانياً: المنظور اصطلاحاً:-

إنَّ مفهوم المنظور بمعناه الشرعي هو ما أُضيف لفظه إلى القرآن الكريم وأريد به حكمه الشرعي. فنقول مثلا إنَّ الغش في المنظور القرآني مذموم وحرام؛ لأنَّه من الفعل نظراً، ونظراً فهو ناظر والمفعول منظور (للمتعدي) فإنَّ الشارع الحكيم، ينظر في جميع المسائل حتي يبين ماهيتها ويوضح خيرها من شرها[١].

جاء المنظور في القرآن الكريم وله عدة معاني منها قد تأتي بمعنى أنتظره وترقّبه[٢]. كقوله(ﷻ): ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[٣]، وتأتي بمعنى أبصره، أي أدركه بوساطة القدرة البصريّة. كقوله(ﷻ): ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[٤]، وتأتي بمعنى نظَر في القضيَّة، أي درسها وتدبّرها. كقوله(ﷻ): ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾[٥]، وتأتي بصيغة المؤنَّث. كقوله(ﷻ): ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[٦].

ويمكن تعريف المنظور في الاصطلاح: وهو الذي يشكّل الضابط الذي يحدّد منطلقات المجتمع وتوجّهاته، فينبثق عنه منظومة من الأفكار ومفاهيم وقيمه الإيمانية والروحية، كما ينبثق عنه منظومة من قيم وتشريعات التي تضبط الجانب العملي لحياتنا، حيث نقوم بوضع أي مسألة أو حكم شرعي قد يكون هذا الحكم حلال أو حرام أو مكروه أو مندوب أو مباح تحت منظور القرآن الكريم، لكي نرى ماذا سيحكم عليه القرآن، فإنَّ أي حكم شرعي وافق القرآن الكريم أخذنا به، وإنْ خالف القرآن الكريم فلا نأخذ به.

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج٣/ص٢٢٣٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ج٣/ص٢٢٣٠-٢٢٣٣.

(٣) سورة يس: آية/٤٩.

(٤) سورة الحجر: آية/١٦.

(٥) سورة الصافات: آية/٨٨.

(٦) سورة النمل: آية/٣٥.

المطلب الرابع: تعريف القرآن

أولاً: القرآن لغةً:-

قَرَأَ (الشيءَ: جَمَعَه وضَمَّه) أَي ضَمَّ بعْضَه إِلى بعضٍ، وقَرأْتُ الشيْءَ قُرْآناً: جَمعْتُه وضمَمْتُ بعْضَه إِلى بعضٍ، يُسَمَّى كَلامُ الله تَعَالَى الَّذِي ينزلَه على نَبِيّه (ﷺ) كِتاباً وقُرآناً وفُرْقَاناً، لأَنه يَجْمَعُ السُّوَرَ فَيَضُمُّها، وَقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[1]، أَي جَمْعَه وقِراءَتَه، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[2]، أَي قِرَاءَتَه. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ (ﷺ): فإِذا بَيَّنَّاهُ لَك بِالقِراءَةِ فاعْمَلْ بِمَا بَيَّنَّاهُ[3].

وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمِّي القرآن الكريم، وفلان قرأ عليك السلام وأقراك السلامَ، أي بمعنًى وأقرأه القرآن فهو مُقْرِئٌ[4].

(قرأ الْكتاب قِرَاءَة وقرآنا تتبع كَلِمَاته نظراً ونطق بهَا، وقرآنا جمعه وضم بعضه إِلَى بعض)[5].

ثانياً: القرآن اصطلاحاً:-

(والأصل في هذه اللفظة الجمع. وكل شيء جمعته فقد قرأته. وسمي القرآن قرآنا؛ لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران. وقد يطلق على الصلاة؛ لأن فيها قراءة، تسمية للشيء ببعضه،

---

(1) سورة القيامة: آية/١٧.

(2) سورة القيامة: آية/١٨.

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج١/ص١٢٨، مادة (قَرَأَ)، وتاج العروس، الزَّبيدي، ج١/ص٣٧٠، مادة (قَرَأَ).

(4) ينظر: الصحاح، الجوهري، ج١/ص٦٥، مادة (قَرَأَ).

(5) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، ج٢/ص٧٢٢، مادة (قَرَأَ).

وعلى القراءة نفسها، يقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآنا. والاقتراء: افتعال من القراءة، وقد تحذف الهمزة منه تخفيفا، فيقال: قران، وقريت، وقار، ونحو ذلك من التصريف)[1].

(القرآن: هو الكتاب المنزل على الرسول(ﷺ) المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة، والقرآن، عند أهل الحق، هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها)[2].

(القرآن ويسمّى بالكتاب أيضاً كلام الله تعالى غير مخلوق وهو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا مقروء بألسنتنا مسموع بآذاننا)[3].

وقيل: هو كلام الله المعجز، الموحى به إلى النّبي محمد (ﷺ)، باللفظ العربي، المكتوب في المصاحف، المتعبّد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس[4].

المقصود بأنَّه معجز، أي إنَّ القرآن هو معجزة الرسول(ﷺ) الكبرى، وقد أعجز العرب وهم أهل الفصاحة بما تضمنه من فصاحة وبلاغة، وأنباء الغيب، وأخبار الأمم السابقة، وما حواه القرآن من إعجاز علمي وتشريع محكم دقيق صالح لكل زمان ومكان، ومن الثابت أنَّ النبي(ﷺ) تحدى قومه بالقرآن وأنهم عجزوا عن الإتيان بمثله أو بعشر سور منه أو حتى آية واحدة من مثل آياته، وما زال التحدي قائماً، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[5].

([1]) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ج٤/ص٣٠-٣١.

([2]) التعريفات، الجرجاني، ج١/ص١٧٤.

([3]) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ابن القاضي، ج٢/ص١٣٠٦.

([4]) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ، ج١/ص١٣.

([5]) سورة الإسراء: آية/٨٨ .

والمراد بالموحى به، أي أن القرآن الكريم بكلِ ألفاظه ومعانيه منزل من الله تعالى على النبي محمد(ﷺ) بوساطة الملك جبريل (عليه السلام)، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[1].

المقصود بمتعبد بتلاوته، أي أنَّ في تلاوة القرآن الكريم عبادة وقربة يتقرب بها المؤمن من الله تعالى، ويحظى بها بالأجر والثواب العظيم، وكذلك أنَّ الصلاة لا تصح إلا بقراءة آيات من القرآن الكريم[2]، ومن ذلك قول النبي (ﷺ): (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)[3].

أمَّا المراد من أنه منقول بالتواتر، أي أنَّه نقل من جمع إلى جمع بحيث يستحيل اتفاقهم على الكذب في نقله؛ فقد تلقاه الصحابة (رضوان الله عليهم) مشافهة من النبي (ﷺ)، ونقلوه إلى جيل التابعين من بعدهم ثم إلى من بعدهم، بحيث يجزم بصدق النقل ودقته[4].

ومما تقدم يمكن تعريف القرآن الكريم في الاصطلاح: بأنَّه هو كلام الله تعالى، المعجز، الموحى به إلى سيدنا محمد (ﷺ)، المتعبد في تلاوته، المنقول بالتواتر، المُتحدى به جميع البشر بأن يأتوا بأقصر سورة منه أو بأقصر آية منه.

---

(1) سورة الشعراء: الآيات/١٩٢-١٩٤ .

(2) ينظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص١٥-٢٣.

(3) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله(ﷺ) وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ وُجُوبِ القِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ، ج١/ص١٥٢، رقم الحديث: ٧٥٦.

(4) ينظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، ص١٥-٢٣.

المطلب الخامس: تعريف التفكك

أولاً: التفكك لغةً:-

(فكَكْتُ الشيء فانفكّ. ككتاب مختوم تَفُكُّ خاتمه، وكما تفُكّ الحنكين تفصل بينهما)[1].

فككت الشيء: كل مشتبكين فصَلتَهما فقد فككتهما، ويقال: (مقتلُ الرجلُ بين فَكَّيْهِ) وفَكَّ الرقبةَ، أي أعتقها. وانْفَكَّتْ رقبتُه من الرِقّ[2].

وفَكَكْتُ الشيء خَلَّصْته وكل مشتبكين فصلتهما فقد فَكَكْتَهما وكذلك التَّفْكِيك، وقال: فَكَّ الشيءَ يفُكُّه فَكّاً فانْفَكَّ فصله[3].

فكك مُبَالغَة فِي فك الشَّيْء فكا فصل أجزاءه وَيُقَال فك الْآلَة وَنَحْوهَا، وَفك النُّقُود استبدل قِطْعَة كَبِيرَة مِنْهَا بِقطع صَغِيرَة، وفصله من غَيره، يُقَال فك الْعقْدَة والقيد، وَيُقَال فك الْأَسير وَفك رقبته أطلقهُ وحرره، وَفك الرَّهْن خلصه من يَد الْمُرْتَهن[4].

---

(1) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٥/ص٢٨٣، وتهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ج٩/ص٣٣٨، مادة (فكك).

(2) ينظر: الصحاح، الجوهري، ج٤/ص١٦٠٣، مادة (فكك).

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج١٠/ص٤٧٥، مادة (فكك).

(4) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، ج٢/ص٦٩٨، مادة (فكك).

ثانياً: التفكك اصطلاحاً:-

هو نقص قواعد السلوك والانضباط على أفراد أعضاء المجتمع ومكوناته، فضلاً عن أنَّه انحراف في الفكر والقيم والمعايير المتفق عليها في المجتمع[١] .

وهو يعبر عن أنماط العلاقات المجتمعية التي لا تتوافر فيها العوامل والظروف الضرورية للحياة التي يتحقق من خلالها السعادة والرخاء والطمأنينة للإنسان. بسبب التناقضات السلوكية للأفراد والمكونات التي تؤدي الى ما يسمى بظاهرة التفكك المجتمعي[٢].

ويمكن تعريف التفكك في الاصطلاح:- بأنَّه تعرض المجتمع لتغير أو تغيير بين أفراده سريع وحاد يؤدي إلى تفكك وانهيار في نظام المجتمع وانتشار أكبر الظواهر تهديداً لأمنه وسلامته.

([١]) قاموس علم الاجتماع، عبدالهادي الجوهري، ترجمة د. محمد عاطف غيث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص٩٦.

([٢]) موسوعة علم الاجتماع، احسان محمد الحسن، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ص١٩٩.

الفصـــــــل الأول

أسباب الضعف والتفكك في المجتمعات الإسلامية في ضوء المنظور القرآني

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب الابتعاد عن التعاليم الدينية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن أوامر الله تعالى والتولي عن سبيل المؤمنين

المطلب الثاني: ضعف الإيمان والعبادة وظهور أهل البدع

المطلب الثالث: التنازع بين المسلمين والجدال والخصومة في الدين

المطلب الأول: الإعراض عن أوامر الله تعالى والتولي عن سبيل المؤمنين

أولاً: الإعراض عن آيات الله (ﷻ)

١) الإعراض لغةً:-

(هو مشتق من الفعل (عَرَضَ)، يقال عرَض الشيء يَعرِض واعتَرَض: انتصَب ومنَع وصار عارضًا؛ كالخشبة المنتصبة في النهر والطريق ونحوها، تَمنَع السالكين)[١].

٢) الإعراض اصطلاحاً:-

وهو(الإعراض: الإضراب عن الشيء، وحقيقته جعل الهمزة للصيرورة، أي أخذت عرضا أي جانبا غير الجانب الذي هو فيه)[٢].

أنزل الله (ﷻ) القرآن الكريم فيه نوراً وضياءً وهدىً للناس، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤]، ولما أعرض بعض الناس عن آيات الله(ﷻ) وقعوا في شك واضطراب شديد.

وقد ذكر القرآن الكريم في مواضع كثيرة من إعراض بعض الناس عن آيات الله، ومن هذه الآيات:-

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٧/ص ١٦٨، مادة (عَرَضَ).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، ج١/ص٥٦.

(٣) سورة الشورى: آية/٥٢.

(٤) سورة الأعراف: آية/٥٢.

١) قال (ﷺ): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾[١].

يقول عزّ ذكره: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ وبعض الناس قاموا بالإعراض والصدّ عن سبيل الرشاد، وارتكاب الذنوب والمعاصي، ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ يقول: ونسي ما أسلف من الذنوب المهلكة فلم يتب، ولم ينب، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله إذا ذكروا بها أغطية لئلا يفقهوه، وقوله: ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يقول: في آذانهم ثقلاً لئلا يسمعوه، ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ يقول عزّ ذكره لنبيه محمد (ﷺ): وَإِنْ تَدْعُ يا مُحَمَّد هؤلاء المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها إلى الإستقامة على محجة الحق والإيمان بالله، وما جئتهم به من عند ربك، ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ يقول: فلن يستقيموا إذاً أبداً على الحقّ، ولن يؤمنوا بما دعوتهم إليه، لأن الله قد طبع على قلوبهم، وسمعهم وأبصارهم[٢].

وورد أيضاً: ولا أحد أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها عناداً واستكباراً، أي أنَّ أهل قريش كانوا متأكدين من صحة الرسالة لكنهم استكبروا ونشقوا فيما بينهم، ونسى ما قدمت يداه مما عمل في الكفر والمعاصي، وعدم التفكر في العواقب، ومن كان كذلك فهو أظلم من كل ظالم، وقد كان حسدهم وتكبرهم، وتمسكهم بالتقاليد الباطلة وحبهم للرياسة الكاذبة، والعرض الفاني بمثابة الأكنة والحواجز على قلوبهم، إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أنْ يفهموه فهماً

---

(١) سورة الكهف: آية/٥٧.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج١٨/ص٥١-٥٢.

دقيقاً عميقاً، وجعلنا في آذانهم وقراً وصمماً عن سماع الحق وتدبره، وهؤلاء لن يكون منهم اهتداء أبداً، وإنْ تدعهم إلى الهدى بكافة الطرق فلن يهتدوا إذاً أبداً[1].

٢) قال (ﷻ): ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[2].

وفي هذه الآيات يذكر الله (ﷻ) عقوبة المعرض عن الدين، فيكون عيشه ضنك وحاله مظلمة، كما قيل: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوّش عليه رزقه، وهذه عقوبة الدنيوية[3].

أمَّا عقوبة المعرض في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، وكما فسر الزرق بالعمى كذلك أي مثل ذلك فعلت أنت، ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة، فلم تنظر إليها بعين المعتبر ولم تتبصر، وتركتها وعميت عنها، فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك[4].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن﴾ أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأنَّ يتركه على وجه الإعراض عنه، أو على وجه الإنكار له، والكفر به، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: فإنَّ جزاءه، أنْ نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذاباً، وقال ابن مسعود(ﷺ): المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنَّه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، ﴿وَنَحْشُرُهُ﴾ أي: هذا المعرض عن ذكر ربه، ﴿يَوْمَ

---

(1) ينظر: التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ، ج٢/ص٤٢٥.

(2) سورة طه: الآيات/١٢٤-١٢٦.

(3) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٣/ص٩٥.

(4) ينظر: المصدر نفسه.

ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ البصر على الصحيح، كما قال تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ﴾[1]. قال على وجه الذل والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾ في دار الدنيا، فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة، قَالَ: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ﴾ بإعراضك عنها ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ أي: تترك في العذاب، والجزاء من جنس العمل، فكما عميت عن ذكر ربك، فحشرت إلى النار أعمى، أصم، أبكم، وأعرض عنك[2].

فالإعراض عن التذكرة بآيات اللَّه من أعظم الظلم، وله نتائج سيئة، وعواقب وخيمة نذكر منها:-

أ- الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق، وعدم الاهتداء أبداً[3]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾[4]، أي: إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله إذا ذكروا بها أغطية لئلا يفقهوه، وفي آذانهم ثقلاً لئلا يسمعوه، وَإِنْ تَدْعُ يا مُحَمَّد(ﷺ) هؤلاء المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها، فلن يستقيموا إذاً أبداً على الحقّ، ولن يؤمنوا بما دعوتهم إليه، لأن الله قد طبع على قلوبهم، وسمعهم وأبصارهم[5].

([1]) سورة الإسراء: آية/٩٧.

([2]) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، ج١/ص٥١٥-٥١٦.

([3]) عواقب الإعراض عن التذكرة بآيات الله - منتديات الشروق أونلاين، https://montada.echoroukonline.com، تأريخ النشر: ٢٠١٦/٤/١٤م، تاريخ الاستفادة: ٢٠٢٢/١٠/٢٧م.

([4]) سورة الكهف: آية/٥٧.

([5]) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج١٨/ص٥١-٥٢.

ب- انتقام اللَّه (ﷻ) من المعرض عن التذكرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[1]، (ولا غرابة في ذلك فلا أحد أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها عتواً واستكباراً وحسداً من عند نفسه! وهذا الصنف من الناس جزاؤه واجب، وعقابه أمر محتم أوجبه العدل والحكم القسط، إنَّ ربك من المجرمين منتقم جبار، سينتقم منهم أشد الانتقام)[2].

ت- كون المُعْرِض كالحمار، كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[3]، فما لهم عَنِ التَّذْكِرَةِ وهو العظة، يريد به القرآن أو غيره من المواعظ مُعْرِضِينَ، كأنهم الحمر الوحشية المستنفرة: الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه، والقسورة: جماعة الرماة الذين يتصيدونها، وقيل: الأسد[4].

ث- الإنذار عن الصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وهذا العذاب في الدنيا[5]، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[6]، فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعد ما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم فقل انذرتكم عذاباً يستأصلكم ويجتاحكم، مثل عذاب عاد وثمود وهم قبيلتان معروفتان، حيث اجتاحهم العذاب، وحل عليهم، وبيل العقاب، وذلك بظلمهم وكفرهم[7].

---

(1) سورة السجدة: آية/٢٢.

(2) التفسير الواضح، الحجازي، ج٣/ص٦٨.

(3) سورة المدثر: الآيات/٤٩-٥١.

(4) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج٤/ص٦٥٦.

(5) ينظر: عواقب الإعراض عن التذكرة بآيات الله- منتديات الشروق أونلاين، https://montada.echoroukonline.com، تأريخ النشر: ٢٠١٦/٤/١٤م، تاريخ الاستفادة: ٢٠٢٢/١٠/٢٧م.

(6) سورة فصلت: آية/١٣.

(7) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج١/ص٧٤٦.

ج- المعيشة الضنك والعمى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[1]، ومنْ أعرض عن ذكري والذكر يقع على القرآن وعلى سائر كتب الله تعالى على ما تقدم بيانه ويحتمل أنَّ يراد به الأدلة، وقوله: فإنَّ له معيشة ضنكا فالضنك أصله الضيق والشدة وهو مصدر ثم يوصف به فيقال: منزل ضنك، وعيش ضنك، فكأنه قال: معيشة ذات ضنك، واعلم أنَّ هذا الضيق المتوعد به إمَّا أنْ يكون في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة أو في الدين أو في كل ذلك أو أكثره، ونحشره يوم القيامة أعمى أي: ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما[2].

ح- إدخال المعرض العذاب الشديد وهذا العذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[3]، ومن يعرض عن ذكر ربه الذي ذكره به، وهو القرآن الكريم؛ ومعناه: ومن يعرض عن استماع القرآن واستعماله، يسلكه الله عذاباً صعداً، أي: يسلكه الله عذاباً شديداً شاقاً[4].

خ- تقييض القرناء من الشياطين[5]، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[6]، ولا عجب في ذلك فإنَّ من يعش عن ذكر الرحمن، ويتعام عن النظر في القرآن ويصم أذنيه عن سماع الحق يقيض الله له شيطاناً، ويهيئ له ذلك، لأنه آثر العمى على الهدى، فهو له قرين لا يفارقه، ودائماً يدعوه إلى كل ضلال، ويزين له كل شر، لأنه تعامى أولاً

---

(1) سورة طه: آية/١٢٤.

(2) ينظر: التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج٢٢/ص١١٠-١١١.

(3) سورة الجن: آية/١٧.

(4) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج٢٣/ص٦٦٤.

(5) عواقب الإعراض عن التذكرة بآيات الله - منتديات الشروق أونلاين https://montada.echoroukonline.com، تأريخ النشر: ٢٠١٦/٤/١٤م، تاريخ الاستفادة: ٢٠٢٢/١٠/٢٧م.

(6) سورة الزخرف: آية/٣٦.

عن النظر في القرآن، وإنهم ليصدونهم عن السبيل، ويحسبون أنَّ الشياطين مهتدون[1]، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[2]، إلى غير ذلك من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة الناشئة للإعراض عن التذكير بآيات[3].

٣) قال (ﷻ): ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾[4].

ثم بين سبحانه أنَّ الحق لا يتبع الهوى، بل الواجب على المكلف أنْ يطرح الهوى ويتبع الحق فبين سبحانه أنَّ اتباع الهوى يؤدي إلى الفساد العظيم فقال: ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومنْ فيهن وفي تفسيره وجوه: الأول: أنَّ القوم كانوا يرون أنَّ الحق في اتخاذ آلهة مع الله تعالى، لكن لو صح ذلك لوقع الفساد في السموات والأرض[5].

وفي ذلك التمانع في قوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[6]، والثاني: أنَّ أهواءهم في عبادة الأوثان وتكذيب محمد (ﷺ) وهما منشأ المفسدة، والحق هو الإسلام. فلو اتبع الإسلام قولهم لعلم الله حصول المفاسد عند بقاء هذا العالم، وذلك يقتضي تخريب العالم وإفناءه والثالث: أنَّ آراءهم كانت متناقضة فلو اتبع الحق أهواءهم لوقع التناقض ولأختل نظام العالم عن القفال، أمَّا قوله: ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ فقيل: إنَّه القرآن والأدلة، وقيل: بل

---

(١) التفسير الواضح، الحجازي، ج٣/ص٣٩٣-٣٩٤.

(٢) سورة فاطر: آية/٨.

(٣) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج٣/ص٣٠٨-٣١٥.

(٤) سورة المؤمنين: آية/٧١.

(٥) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، ج٢٣/ص٢٨٧.

(٦) سورة الأنبياء: آية/٢٢.

شرفهم وفخرهم بالرسول وكلا القولين متقارب، لأن في مجيء الرسول بيان الأدلة وفي مجيء الأدلة بيان الرسول فأحدهما مقرون بالآخر، وقيل: الذكر هو الوعظ والتحذير[1].

وقيل أيضاً: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ ولك أنَّ تقول: نعم، اتباع الأهواء يُفسِد الأرض، ويُفسِد حركة الحياة فيها، لكن كيف يُفسِد السماء؟ وهل لأحد قدرة عليها؟ ونقول: ألم يكُنْ من أمنيات هؤلاء: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا * أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا * أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾[2]، من أهوائهم أنْ تتهدّم السماء، ولو حتى على رؤوسهم، وأي فساد بعد هذا، وهكذا لو اتبعتَ أهواءهم لفسدَتْ السموات والأرض، ليس هذا فقط بل، ﴿وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ حيث سيتعدّى فسادهم ليشمل كل ما في الوجود، وقوله: ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ أي: عن القرآن، وهذا دليل أنهم كانوا مغفلين، لا يعرفون حتى مصلحتهم[3]. وأصل الضلالة في الدنيا والآخرة هو الإعراض عن فهم كتاب الله (ﷻ) وعدم التمسك بسنة نبيه الكريم (ﷺ)، فإنَّ في الاعتصام بالكتاب الكريم والسنة النبوية نجاة، وفي تركهما ضلالة.

٤) قال (ﷻ): ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾[4].

(قوله(ﷻ): ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ أي اقترب منهم، وفيه قولين: أحدهما: قرب وقت عذابهم، يعني أهل مكة، لأنهم إستبطؤواْ ما وُعِدواْ به من العذاب تكذيباً، فكان قتلهم يوم بدر، الثاني: قرب وقت حسابهم وهو قيام الساعة، وفي قربه وجهان: أحدهما: لا بُد آتٍ، وكل

([1]) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، ج٢٣/ص٢٨٧.

([2]) سورة الإسراء: الآيات/٩٠-٩٢.

([3]) ينظر: خواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ج١٦/ص١٠٠٩٣-١٠٠٩٨.

([4]) سورة الأنبياء: آية/١.

آتٍ قريب، الثاني: لأن الزمان لكثرة ما مضى وقلة ما بقي قريب، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: في غفلة بالدنيا معرضون عن الآخرة، الثاني: في غفلة بالضلال، معرضون عن الهدى)[1].

وقوله (ﷻ):﴿اقْتَرَبَ﴾ من القرب الذي هو ضد البعد، والمعنى: قرب الزمن الذي يحاسب فيه الناس على أعمالهم في الدنيا، وهنا زيادة في الترهيب والتخويف للمعرضين عن الله سبحانه بأنْ يتركوا إعراضهم ويعودوا إلى الله، والحال أنَّ الكافرين منهم في غفلة تامة عن هذا الحساب لا يعملون له، ولا يستعدون من أجله، وفي إعراض مستمر عن الاستعداد له بالإيمان والعمل الصالح[2].

ومن صور الإعراض عن آيات الله (ﷻ) هو تقديم العقل على النقل، وهذا أول ضلال وقع في الخلق، (اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة : شبهة ابليس لعنه الله، ومصدرها الاستبداد في الرأي مقابل النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم(عليه السلام) وهي الطين)[3].

٥) قال (ﷻ):﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[4].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ أي: آية تدُلُّهم على صدق الرسول (ﷺ)، والمراد بها هاهنا: انشقاق القمر، ﴿يُعْرِضُوا﴾ عن تصديق الرسول وينشقوا عن

---

(1) النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٣/ص٤٣٥-٤٣٦.

(2) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ج٩/ص١٨٢.

(3) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: عبدالعزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م، ج١/ص١٤.

(4) سورة القمر: آية/٢.

أمته، ﴿وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: ذاهبٌ، من قولهم: مَرَّ الشيءُ واستمرَّ: إذا ذهب، فعلى هذا يكون المعنى: هذا سِحر، والسِّحر يذهب ولا يثبت. والثاني: شديدٌ قويٌّ، وهو مأخوذ من المِرَّة، والمِرَّة: الفَتْل. والثالث: دائمٌ[1].

وجاء أيضاً: ولما كان التقدير: فأعرض الكفار عن آية انشقاقه وقالوا: سحر، مع علمهم بأنَّه دال قطعاً على صدق من انشق لتصديقه، ومع ذلك أعرضوا عن ذكر الله، وتركوا الانضمام إلى الدين الإسلامي بسبب تكبرهم وعنادهم، فقال: وإنْ يروا آية، أي آية كانت، يعرضوا، أي عن الانتفاع بها كما أنهم أعرضوا عن هذه لما رأوها، وقال بعضهم: سحر، وقال بعضهم: أمهلوا حتى يجيء السفار، فإن قالوا: إنهم رأوا كما رأيتم فليست بسحر، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر أهل الأرض كلهم، فجاء السفار وشهدوا برؤيته منشقاً، ومع ذلك فلم يؤمنوا، ويقولوا، أي على سبيل التجديد منهم والاستمرار: هذا، سحر، أي هذا الذي يأتينا به هذا الرجل من وادي الخيال الذي لا حقيقة له وهو مستمر، أي لأنه فارق السحر بأنه لا ينكشف في الحال، لأنه محكم ثابت دائم بشموله وإحاطته بجميع الأنواع، ولذلك يتأثر عنه غاية الخوارق المتباينة الأنواع الكثيرة[2].

وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْمَوَاعِظِ وَالتَّذْكِيْرِ بِكَلَامِ الله تَعَالَىْ وَكَلَامِ رَسُوْلِهِ (ﷺ) سَبَبٌ لِإِعْرَاضِ الله تَعَالَىْ عَنِ الْعَبْدِ؛ كَمَا جاء فِيْ حَدِيْثِ رَسُوْلُ الله (ﷺ): (أَنَّ رَسولَ اللَّهِ(ﷺ) بيْنَما هو جَالِسٌ في المَسْجِدِ والنَّاسُ معهُ إذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فأَقْبَلَ اثْنَانِ إلى رَسولِ اللَّهِ (ﷺ) وذَهَبَ واحِدٌ، قالَ: فَوَقَفَا علَى رَسولِ اللَّهِ (ﷺ)، فأمَّا أحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً في الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأَمَّا الثَّالِثُ: فأدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ) قالَ: ألَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟

([1]) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٤/ص١٩٧.

([2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج١٩/ص٩٦.

أَمَّا أَحَدُهُمْ فأوَى إلى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ منه، وأَمَّا الآخَرُ فأعْرَضَ فأعْرَضَ اللَّهُ عنْه)[1].

ومن نماذج القصص حول الإعراض على الله(ﷻ) ورسوله الكريم(ﷺ) زعيم قريش وكبيرهم الوليد بن المغيرة[2]، فعن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي(ﷺ) فقرأ عليه القرآن وكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال له: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله، فقال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزها وبقصيدها مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فقال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فأنزل في الوليد بن المغيرة قول الله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا *

([1]) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، ص٢٩، رقم الحديث: ٦٦.

([2]) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر المخزومي القرشي، أمه: صخرة بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس، (٩٥ ق هـ – ١ هـ / ٥٣٠ – ٦٢٢م)، كان سيداً من زعماء قريش ومن قضاة العرب في الجاهلية، وهو والد الصحابي خالد بن الوليد. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاما على شربها. يقال له «العدل» لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو «البيت» جميعها، والوليد يكسوه وحده، كان الوليد يكنى أبا عبد شمس، وهو العدل، وهو الوحيد. وإنما سمي العدل لأنه يقال إنه يعدل قريشا كلها. ويقال: إن قريشا كانت تكسو الكعبة، فيكسوها مثل ما تكسوها كلها، أدرك الوليد الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته. توفي بعد الهجرة بثلاثة أشهر عن عمر نيف وتسعين عاماً، وكان سبب وفاته أن جرحاً كان قد أصابه بأسفل كعب رجله قبل سنين انتقض عليه فقتله، قيل: مات – الوليد – بعد الهجرة بعد ثلاثة أشهر وهو ابن خمس وتسعين سنة، ودفن بالحجون، ينظر: جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، ج١/ص١٣٣.

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[1]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي الَّذِي كَانُوا مَعَهُ ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾[2]، أي أصنافاً، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3]، وقيل: إن الوليد بن المغيرة كان يغشى النبي(ﷺ) وأبا بكر(رضي الله عنه) حتى حسبت قريش أنه يسلم، فقال له أبو جهل: إن قريشا تزعم أنك إنما تأتي محمداً وابن أبي قحافة تصيب من طعامهما، فقال الوليد لقريش: إنكم ذوو أحساب وذوو أحلام، وإنكم تزعمون أن محمداً مجنون، وهل رأيتموه يجن قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كاهن وهل رأيتموه يتكهن قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه شاعر هل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا: لا قال: فتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئا من الكذب؟ قالوا: لا، قالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال: ما هو إلا ساحر، وما يقوله سحر[4]، فقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته[5].

([1]) سورة المدثر: الآيات/١١-٢٦.

([2]) سورة الحجر: آية/٩١.

([3]) سورة الحجر: آية/٩٢.

([4]) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ج١/ص٤٤٧.

([5]) ينظر: تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ج١/ص١٥٥-١٥٧.

ثانياً: التولي عن سبيل المؤمنين

١) التولي لغةً:-

تَوَلَّى الأَمْرَ، إذا تَقَلَّدَهُ، وَهُوَ مُطاوِعُ، وَلاَّهُ الأميرُ عَمَلَ كَذَا، وَبِه فُسِّر قولهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[١]، أَي تَوَلَّيْتُم أُمُورَ الناسِ[٢].

٢) التولي اصطلاحاً:-

والتولي يعني الأعرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾[٣]، يقتضي معنى الْإعراض وَترك الْقرب[٤].

٣) السبيل لغةً:-

أسبل وأسْبلة وسُبْل وسُبُل[٥]، وله عدة معانٍ، منها سبيل هو الطريق المؤدِّي إلى الحرب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[٦]، ومنها الوُصْلَة، قال تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾[٧]، ومنها الحِيلة لم يجد سبيلاً للخروج من مأزقه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾[٨].

---

(١) سورة محمد: آية/٢٢.

(٢) ينظر: تاج العروس، محمّد الزَّبيدي، ج٤٠/ص٢٤٦، مادة (ولي).

(٣) سورة البقرة: آية/١٣٧.

(٤) ينظر: الكليات، أبو البقاء الحنفي، ج١/ص٣٠٩.

(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ج٢/ص١٠٣١، مادة (سبل).

(٦) سورة الأنعام: آية/١٥٣.

(٧) سورة الفرقان: آية/٢٧.

(٨) سورة الشورى: آية/٤٤.

٤) السبيل اصطلاحاً:-

فَالسَّبِيلُ: فِي الْأَصْلِ الطَّرِيقُ ويذكَّر ويؤنثَّ، والتأنيثُ فِيهَا أغلبُ. وسَبِيلُ اللَّهِ عامٌّ يقعُ عَلَى كُلِّ عَمل خالِصٍ سُلك بِهِ طَرِيقُ[١].

وقد ذكر القرآن الكريم في مواضع عدة من تولي بعض الناس عن سبيل المؤمنين، ومن هذه الآيات:-

١) قال (ﷻ): ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[٢].

القول في تأويل قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ...﴾، يعني جل ثناؤه بقوله: ومن يشاقق الرسول، ومن يباين الرسولَ محمدًا (ﷺ)، معاديًا له، فيفارقه على العداوة له، من بعد ما تبين له الهدى، يعني: من بعد ما تبين له أنَّه رسول الله، وأن ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، ويتبع غير سبيل المؤمنين، يقول: ويسلك منهاجًا غير منهاجهم، وذلك هو الكفر بالله، لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم، نولّه ما تولّى، يقول: نجعل ناصره ما استنصره واستعان به من الأوثان والأصنام، وهي لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله شيئًا، ولا تنفعه، كما قيل في قوله: نوله ما تولى، أي: من آلهة الباطل، ونصله جهنم، يقول: ونجعله صلاء نار جهنم، يعني: نحرقه بها، وساءت مصيراً، يقول وساءت جهنم، مصيراً، موضعاً يصير إليه من صار إليه[٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾، أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول (ﷺ)، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له، وقوله: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ولهذا توعد

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج٢/ص٣٣٨.

(٢) سورة النساء: آية/١١٥.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج٩/ص٢٠٤-٢٠٥.

تعالى على ذلك بقوله: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك، بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجاً له[1].

وكما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾[3]، وقال أيضاً: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾[4].

وقول اللّه تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ ومن يشاقق الرسول بارتداده عن الإسلام وإظهاره عداوته له من بعد ما ظهرت له الهداية على لسان رسوله، ويعادى سنته ويتبع غير سبيل المؤمنين ويخالف إجماعهم وما اتفقوا عليه فجزاؤه أن الله يوليه ما تولى ويتركه يتخبط في الظلام والضلال: وجعل النار مصيرهم وساءت مصيرا، ويمكن أن نفهم من هذه الآية أن الوجهة التي يتوجه إليها الإنسان ويرضاها لنفسه يوليه الله إياها ويسيره في طريقها، وعلى ذلك فاستحقاقه العقاب أمر طبيعي لاختياره طريق الشر وبعده عن الصراط المستقيم[5].
ووجه الدليل من هذه الآية، أنَّ الله تعالى، توعد أتباع غير سبيل المؤمنين، فدل على أنَّ اتباع سبيلهم واجب ومخالفتهم حرام فإنْ قال أي شخص مخالف: هذا استدلال بدليل الخطاب وليس بحجة عندنا؟ فالجواب: أنَّه دليل عندنا كالعموم والظاهر، وقد دللنا عليه فيما تقدم، وعلى أنَّ هذا ليس بدليل الخطاب، وإنَّما هو احتجاج بتقسيم عقلي، لأنه ليس بين اتباع سبيل المؤمنين،

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٢/ص٤١٢-٣١٣.

(2) سورة القلم: آية/٤٤.

(3) سورة الصف: آية/٥.

(4) سورة الكهف: آية/٥٣.

(5) التفسير الواضح، الحجازي، ج١/ص٤٢٩.

وبين اتباع غير سبيلهم قسم ثالث، وإذا حرم الله اتباع غير سبيل المؤمنين وجب اتباع سبيلهم، وهذا واضح لا شبهة فيه[1].

٢) **قال** (ﷻ): ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[2].

وقيل فيه: المعنى ونقلب أفئدتهم وأنظارهم يوم القيامة على لهب النار وحر الجمر، كما لم يؤمنوا في الدنيا. ونذرهم في الدنيا، أي نمهلهم ولا نعاقبهم، فبعض الآية في الآخرة، وبعضها في الدنيا. ونظيرها، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ﴾[3]،

فهذا في الآخرة، ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾[4]، في الدنيا، وقوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة، أي أول مرة أتتهم الآيات التي عجزوا عن معارضتها مثل القرآن وغيره، ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون)[5].

(وبين علة عدم إيمانهم فقال: ونقلب أفئدتهم، فلا تعي ولا تفهم، وأبصارهم، فلا ترى ولا تبصر، فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا بالقرآن أول مرة لما دعوا إلى الإيمان به، ونذرهم في

---

(١) الفقيه و المتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ، ج١/ص٤٠٠.

(٢) سورة الأنعام: آية/١١٠.

(٣) سورة الغاشية: آية/٢.

(٤) سورة الغاشية: آية/٣.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج٧/ص٦٥-٦٦.

طغيانهم يعمهون، أي ونتركهم في شركهم وظلمهم حيارى يترددون لا يعرفون الحق من الباطل ولا الهداية من الضلال)[1].

١) قال (ﷺ): ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[2].

وقيل في تفسير هذه الآية (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أمر الله للملائكة، أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف، وقيل منه إلى الجحيم. وَأَزْواجَهُمْ وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته، أو نساءهم اللاتي على دينهم أو قرناءهم من الشياطين. وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ من الأصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم، وهو عام مخصوص بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾[3]، وفيه دليل على أن الَّذِينَ ظَلَمُوا هم المشركون. فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ فعرفوهم طريقاً ليسلكوها)[4].

وقيل: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي تقول الملائكة للزبانية: احشروا الظالمين من كل مكان إلى موقف الحساب مع أشباههم وأمثالهم، فاجعلوا ذوي المعاصي المتشابهة، بعضهم مع بعض، فاجعلوا الزناة معاً، والآكلين لحوم الناس والناهشين لأعراضهم كذلك، واجعلوا عابدي الأصنام ومعبوديهم من الأوثان والأصنام معاً، ليكون في ذلك زيادة لهم في الحسرة وعظيم التخجيل على ما أتوه من عظيم الشرك وكبير المعصية. ثم زادوا في تأنيبهم وتوبيخهم فقالوا: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾، أي فأرشدوهم إلى طريق جهنم ودلوهم عليها، وفي هذا زيادة في النكاية بهم والإزدراء بشأنهم، إذ كانوا في الدنيا يزدرون المؤمنين

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢/ص١٠٤.

(٢) سورة الصافات: الآيات/٢٢-٢٣.

(٣) سورة الأنبياء: آية/١٠١.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ج٥/ص٨.

ويتقحمونهم، من المعلوم أنْ الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار، فإذا اتفق المؤمنين على إيجاب شيء أو استحبابه، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته، فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1]، فأخبر الله(ﷻ) أنْ هذه الأمة هي أمة وسطا أي: أنْ تكون عادلة ليكونوا شهداء على الناس في كل شيء، فإذا حدث أي خلاف بينهم فيجب أنْ لا ينشقوا ويتفرقوا بل يردون هذا الخلاف إلى الله سبحانه وإلى رسوله (ﷺ)[2]، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3].

المطلب الثاني: ضعف الإيمان والعبادة وظهور أهل البدع

أولاً: ضعف الإيمان والعبادة

١) الإيمان لغةً:-

التصديقُ، وهو (افعالٌ) من الأمْنِ الذي هو الإقرارُ والطُّمَأنينةُ، وذلك إنَّما يحصُلُ إذا استقرَّ في القَلْبِ التصديقُ والانقيادُ، وأصل (أمن): يدُلُّ على التصديقِ[4].

٢) الإيمان اصطلاحاً:-

(هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان)[5].

---

(1) سورة البقرة: آية/١٤٣.

(2) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ج٢٣/ص٤٩.

(3) سورة النساء: آية/٥٩.

(4) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج١/ص١٣٣، مادة (امن).

(5) التعريفات، للجرجاني، ج١/ص٤٠.

٣) العبادة لغةً:-

(وَمَعْنَى العبادةِ فِي اللُّغَةِ الطاعةُ مَعَ الخُضُوعِ)[١].

٤) العبادة اصطلاحاً:-

(العبادة: هو فعل المكلف على خلاف هوى نفسه؛ تعظيماً لربه)[٢].

(إنَّ أعظم النعم الإقبال على الله والتعبد له والانقطاع إليه والتبتل إليه ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلت ولا نعمة أعظم من هذه النعمة فأنفس الحاسدين المنقطعين متعلقة بها وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد وأنْ لا يقصد إظهارها له، وقد قال يعقوب ليوسف: ﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[٣]، وكم من صاحب قلب وجمعية وحال مع الله قد تحدث بها وأخبر بها فسلبه إياها الأغيار فأصبح يقلب كفيه ولهذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله وأنْ لا يطلعوا عليه أحداً ويتكتمون به غاية التكتم، والقوم أعظم شيء كتماناً لأحوالهم مع الله وما وهب الله لهم من محبته والأنس به وجمعية القلب عليه ولا سيما للمبتدئ والسالك فإذا تمكن أحدهم وقوي وثبتت أصول تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء في قلبه بحيث لا يخشي عليه من العواصف فإنه إذا أبدى حاله وشأنه مع الله ليقتدي به ويؤتم به لم يبال وهذا باب عظيم النفع وإنما يعرفه أهله)[٤].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٣/ص٢٧٣، مادة (عبَدَ).

(٢) التعريفات، الجرجاني، ج١/ص١٤٦.

(٣) سورة يوسف: آية/٥.

(٤) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج٣/ص٩.

فالإنسان مفطور على العبادة وعلى الدين الحق الدين الإسلامي الحنيف، لكن قد تطرأ عليه بعض الأمور التي تؤدي إلى ضعف الإيمان ومن الأدلة الدالة على أنْ الإنسان مفطور على الدين الحق حديث أبي هريرة(ﷺ) قال: قال النبي (ﷺ): (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء[1])[2].

وقد تحدث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن ضعف الايمان وضعف العبادة، ومن هذه الآيات:-

١) قال (ﷻ): ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾[3].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾، يقول تعالى ذكره: فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الأنبياء الذين أنعمت عليهم، ووصفت صفتهم في هذه السورة، خلْف سوء في الأرض أضاعوا الصلاة بعد أنْ كانوا يؤدونها مجتمعين. ثم اختلف أهل التأويل في صفة إضاعتهم الصلاة، فقال بعضهم: كانت إضاعتهم تأخيرهم إياها عن مواقيتها، وتضييعهم أوقاتها، في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، قال: إنما أضاعوا المواقيت، ولو كان تركاً كان كفراً، وقال آخرون: بل كانت إضاعتهم: تركها، أنهم قالوا في هذه الآية: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾، يقول: تركوا الصلاة[4].

([1]) جدعاء: مقطوعة الأذن أو الأنف أو الأطراف، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ، ج٢/ص٤٥٠.

([2]) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج٢/ص١٠٠، رقم الحديث: ١٣٨٥.

([3]) سورة مريم: آية/٥٩.

([4]) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري، ج١٨/ص٢١٥.

وأولى التأويلين في ذلك عندي بتأويل الآية، قول من قال: إضاعتهم تركهم إياها لدلالة قول الله تعالى ذكره بعده: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[1]، فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن، وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفارا لا يصلون لله، ولا يؤدّون له فريضة فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله، وقد قيل: إنَّ الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان، وأما قوله: فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا، فإنه يعني أن هؤلاء الخلْف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخلون غياً، وهو أسم وادٍ من أودية جهنم، أو أسم بئرٍ من آبارها[2].

وقيل في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، قال: الغيّ: نهر جهنم في النار، يعذّب فيه الذين اتبعوا الشهوات، وقال آخرون: بل عنى بالغيّ في هذا الموضع: الخسران[3].

وقيل أيضاً في تفسير هذه الآية: بعد أن وصف الله تعالى الأنبياء بالطاعة، ذكر موقف الناس من هؤلاء الأنبياء، فإنهم لم يكونوا جميعاً على المستوى المطلوب، لقد جاء خلف سوء من بعدهم، كافرون وفسّاق، تركوا الصلاة، وآثروا اتباع شهواتهم وأهوائهم بارتكاب المحرمات، على طاعة الله، فاقترفوا الزنى، وشربوا الخمر، وشهدوا شهادة الزور، بل وتأولوا النصوص عبثاً ولهوا وجهلاً، فهؤلاء لهم جزاء شديد، إنهم سيلقون غياً، أي شراً وخيبة وخساراً يوم القيامة، لارتكابهم المعاصي، وإهمال الواجبات، فالغي: هو الخسران، والوقوع في الورطات، وإضاعة الصلاة: الكفر والجحود بها أو إهمالها وتأخيرها عن أوقاتها[4].

---

(1) سورة مريم: آية/٦٠.

(2) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج١٨/ص٢١٥-٢١٧.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ج١٨/ص٢١٨.

(4) ينظر: التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٢/ص١٤٨٩.

ومن ضعف الإيمان والعبادة هو ترك الجماعة وهجر المساجد والمصاحف، وهذا واضح في نصوص الكتاب والسنة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾[1]، أي صلاتكم، وكذلك جعل الله الصلاة من صفات المتقين، كما في قوله تعالى: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[2].

٢) قال (ﷻ): ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُمۡ﴾[3].

فتحدث الله (ﷻ) في هذه الآية الكريمة عن بعض الناس من البخلاء، ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله، يعني إخراج ما فرض الله عليكم، فمنكم من يبخل، بما فرض عليه من الزكاة، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني، عن صدقاتكم وطاعتكم، وأنتم الفقراء، إليه وإلى ما عنده من الخير. وإنْ تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم، بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم[4].

لقد قاتل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) مَن منعوا أداءَ الزكاة إليه بالرُّغم من أنَّهم لم يرتدُّوا عن الإسلام، بل قالوا نخرجُها لفقرائنا، وهذا يعني أنَّهم مؤمنون بها مؤدُّون لها، لكنَّهم عندما امتنعوا عن أدائها إليه اعتبرهم خارجين عن طاعته، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رضي الله عنه)، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ:

---

(١) سورة البقرة: آية/١٤٣.

(٢) سورة البقرة: الآيات/٢-٣.

(٣) سورة محمد: آية/٣٨.

(٤) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ج٤/ص٢١٩-٢٢٠.

لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ)، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا[1]، كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: (فَوَ اللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ)[2].

وقيل أيضاً: (ها أنتم أيها المؤمنون تُدْعَون إلى النفقة في جهاد أعداء الله ونصرة دينه، فمنكم مَن يَبْخَلُ بالنفقة في سبيل الله، ومَن يَبْخَلْ فإنما يبخل عن نفسه، والله تعالى هو الغنيُّ عنكم وأنتم الفقراء إليه، وإن تتولوا عن الإيمان بالله وامتثال أمره يهلكُّم، ويأت بقوم آخرين، ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي عن أمر الله، بل يطيعونه ويطيعون رسوله، ويجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم)[3].

والتهاون في الصلاة والتكاسل عنها من صفات المنافقين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾[4].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): (لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)[5].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (صَلاَةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)[6].

---

(1) عقالاً: هو الحبل الذي يعقل به البعير، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس، شهاب الدين، ج١٠/ص٣٠٦.

(2) صحيح البخاري، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، ج٩/ص٩٣، رقم الحديث: ٧٢٨٤.

(3) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج١/٥١٠.

(4) سورة النساء: آية/١٤٢.

(5) صحيح البخاري، كتاب الاذان، باب فضل العشاء في الجماعة، ج١/ص١٣٢، رقم الحديث: ٦٥٧.

(6) صحيح البخاري، باب فضل صلاة الجماعة، ج١/ص١٣١، رقم الحديث: ٦٤٥.

وعن هُرَيْرَةَ (ﷺ)، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ المَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ)[1].

(وكان عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ﷺ) إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها، ويروى عن علي بن الحسين (ﷺ) أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم)[2].

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (ﷺ) مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يُجِبْ لَمْ يُرِدْ خَيْرًا لم يرد به خير، وقال أبو هريرة (ﷺ) لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب)[3].

أسباب ضعف الإيمان هي:

أ- الابتعاد عن الأجواء الإيمانية فترة طويلة وهذا مدعاة لضعف الإيمان في النفس[4]، يقول الله (ﷻ): ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[5].

([1]) صحيح البخاري، ج١/ص١٣١، رقم الحديث: ٦٤٧.

([2]) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ج١/ص١٥١.

([3]) المصدر نفسه، ج١/ص١٤٩.

([4]) ظاهرة ضعف الإيمان الأعراض – الأسباب – العلاج، محمد صالح المنجد، مطبعة سفير، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ، ج١/ص٢٨.

([5]) سورة الحديد: آية/١٦.

ب- الابتعاد عن القدوة الصالحة، فالشخص الذي يتعلم على يدي رجل صالح يجمع بين العلم النافع والعمل الصالح وقوة الإيمان، يتعاهده ويحذيه مما عنده من العلم والأخلاق والفضائل.

ت- الابتعاد عن طلب العلم الشرعي والاتصال بكتب السلف والكتب الإيمانية التي تحيي القلب.

ث- وجود الإنسان المسلم في وسط يعج بالمعاصي فهذا يتباهى بمعصية ارتكبها وآخر يترنم بألحان أغنية وكلماتها وثالث يدخن ورابع يبسط مجلة ماجنة وخامس لسانه منطلق باللعن والسباب والشتائم وهكذا، أما القيل والقال والغيبة والنميمة وأخبار المباريات فمما لا يحصى كثرة.

ج- الإغراق في الاشتغال بالدنيا حتى يصبح القلب عبداً لها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ)[1].

ح- الإنشغال بالمال والزوجة والأولاد[2]، يقول الله (ﷻ): ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾[3]، ويقول (ﷻ):﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾[4].

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الحِرَاسَةِ فِي الغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ج٤/ص٣٤، رقم الحديث: ٢٨٨٦.

([2]) ظاهرة ضعف الإيمان الأعراض – الأسباب – العلاج، محمد صالح المنجد، مطبعة سفير، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ، ج١/ص٢٨.

([3]) سورة الأنفال: اية/٢٨.

([4]) سورة آل عمران: آية/١٤.

وكذلك هناك علاجٍ لضعف الإيمان وهو:

أ- تدبر القرآن العظيم الذي أنزله الله عز وجل تبياناً لكل شيء ونوراً يهدي به سبحانه من شاء من عباده، ولا شك أن فيه علاجاً عظيماً ودواء فعالاً، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ب- إستشعار عظمة الله (ﷻ)، ومن عظمته ما أخبر عن نفسه بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

ت- الإكثار من ذكر الموت، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(ﷺ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): (أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ)[3].

ث- التفكر في حقارة الدنيا حتى يزول التعلق بها من قلب العبد[4]، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[5]، وقال النبي (ﷺ): (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً)[6].

---

(1) سورة الإسراء: آية/٨٢.

(2) سورة الزمر: آية/٦٧.

(3) الجامع الكبير، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، أَبْوَابُ الزُّهْدِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ، ج٤/ص١٢٩، رقم الحديث: ٢٣٠٧، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(4) ظاهرة ضعف الإيمان الأعراض – الأسباب – العلاج، محمد صالح المنجد، ج١/ص٣٥-٥٧.

(5) سورة آل عمران: آية/١٨٥.

(6) صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، ج١/ص٦٤١، رقم الحديث: ٣٤١٤، قال الالباني: الحديث حسن.

ج- تعظيم حرمات الله وشعائره، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[2].

ح- محاسبة النفس دائماً، يقول (ﷻ): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[3].

خ- طلب العلم الشرعي[4]، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[5].

ثانياً: ظهور أهل البدع

١) البدع لغةً:-

بِدعَ: البَدْعُ: إحداثُ شَيءٍ لَمْ يَكُن لَهُ مِن قَبلُ خُلقٌ وَلا ذِكْرٌ وَلا مَعرِفَةٌ. والله بَدِيعُ السمواتِ والأرضِ إبتَدَعَهُما، وَلَم يَكُونا قَبِل ذَلِكَ شَيئاً يَتَوهّمهُما مُتوهّم، وَبِدَع الخَلق[6].

٢) البدع اصطلاحاً:-

(بَدَعَ) فِي أَسْماء اللَّه تعالى (البَدِيع) ، هو الْخَالِقُ المختَرِع لَا عَنْ مِثال سَابِقٍ، فَعِيل بِمَعْنَى مُفْعِل. يُقَالُ أَبْدَعَ فَهُوَ مُبْدِع[7].

إذا ظهر أهل البدع وجاهروا بدعوتهم فقد أنتشر الفساد والتفكك في الأمة جميعها، وقد ذمَّ الله أهل البدع والأهواء في عدة آيات منها، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

---

(١) سورة الحج: آية/٣٠.

(٢) سورة الحج: آية/٣٢.

(٣) سورة الحشر: آية/١٨.

(٤) ظاهرة ضعف الإيمان الأعراض – الأسباب – العلاج، محمد صالح المنجد، ج١/ص٦٧-٦٩.

(٥) سورة فاطر: آية/٢٨.

(٦) كتاب العين، الفراهيدي، ج٢/ص٥٤، مادة (بدَعَ).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج١/ص١٠٦.

بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1]، فإنَّ لم يستجيبوا لك بالإتيان بالكتاب، ولم تبق لهم حجة، فإعلم أنَّما يتبعون أهواءهم، ولا أحد أكثر ضلالاً ممن اتبع هواه بغير هدى من الله[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3].

يا داود إنا إستخلفناك في الأرض وملَّكناك فيها، فأحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى في الأحكام، فيُضلك ذلك عن دين الله وشرعه[4].

وقد تحدث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن أهل البدع والأهواء، ومن هذه الآيات:-

١) قال (ﷻ): ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾، فقيل: المحكمات: هن النَّاسخات المعمول بهنَّ، والمتشابهات: هن المنسوخات غير المعمول بهنَّ، وهو قول ابن عَبَّاسٍ (ﷺ). والمتشابه: هو الذي اشتبه على الناس؛ لإختلاف الألسن فاختلفوا فيها، ولما يؤدي ظاهره إلى غير ما يؤدي باطنه؛ فتعلق بعضهم بالظاهر فقالوا به، وتعلق آخرون بالباطن؛ لما رأوا ظاهره جوراً وظلماً أو تشبيهاً، على اتفاقهم على نفي الجور والظلم عنه، ويجوز لمن يوقف على المتشابه بمعرفة المحكم. المحكم: هو

---

(١) سورة القصص: آية/٥٠.

(٢) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج١/ص٣٩١.

(٣) سورة ص: آية/٢٦.

(٤) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج١/ص٤٥٤.

(٥) سورة آل عمران: آية/٧.

الواضح المبين، فلو كان على ما قالوا لم يكن لإختلاف الناس فيه، وادعاء كلٌّ أن الذي هو عليه هو المحكم؛ لأنه لو كان ظاهراً مبيّناً لتمسكوا به، ولم يقع بينهم إختلاف[1].

وقيل في قوله أيضاً: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أصل الكتاب، وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ قيل: ميل عن الحق، وقيل: الزيغ: هو الريب والشك، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: من القرآن بقول ما اشتبه حسابهم، وهنا خطاب لرسولنا الكريم (ﷺ) بأنْ لا يتبع هؤلاء، وقيل: الفتنة: الكفر، ويحتمل أنْ تكون المحنة، أي: يمتحنون أهل الإسلام. وقوله: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ ويكون المبتدع في ابتغاء تأويله؛ يريد التلبيس على من لزم تلك الجملة، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: وما يعلم منتهي تلك الأمة إلا اللَّه، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ المحكم والمتشابه وغيره. قيل: الراسخون: هم المتدارسون، وقيل: المتثابتون، وقوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: ما يتعظ إلا أولو الحجج والعقل[2].

وقوله: ﴿أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ عبّر عن القرآن بالكتاب الذي هو أسم جنس إيذاناً بكمال تفوقه على بقية الكتب السماوية كأنَّه هو الحقيق بأنْ يطلق عليه أسم الكتاب، ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هذه إستعارة والمراد بها أنْ هذه الآيات جماع الكتاب وأصله فهي بمنزلة الأم له، وكأنَّ سائر القرآن يتبعها أو يتعلق بها كما يتعلق الولد بأمه ويفزع إليها في مهمة[3].

وآيات القرآن قسمان: محكمات ومتشابهات كما دلت عليه الآية الكريمة، فإنَّ قيل: كيف يمكن التوفيق بين هذه الآية وبين ما جاء في سورة هود أنْ القرآن كلَّه محكم ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[4]، وما جاء في الزمر أنْ القرآن كلَّه متشابهٌ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا

---

(1) ينظر: تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج٢/ص٣٠٣-٣٠٥.

(2) ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ج٢/ص٣٠٨-٣١٣.

(3) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج١/ص١٦٨.

(4) سورة هود: آية/١.

مُّتَشَٰبِهًا﴾[1]، فالجواب أنه لا تعارض بين الآيات إذ كل آية لها معنى خاص غير ما نحن في صدده فقوله: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾، بمعنى أنه ليس به عيب، وأنَّه كلامٌ حق فصيح الألفاظ، صحيح المعاني وقوله: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهًا﴾، بمعنى أنَّه يشبه بعضه بعضاً في الحُسن ويصدق بعضه بعضاً، فلا تعارض بين الآيات[2].

ومن الأحاديث التي تذم البدع والأهواء، عَنْ عَائِشَةَ(رضي الله عنها)، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)[3].

٢) قال (ﷻ): ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

وقيل: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ أي فإن لم يأتوا بما طلبت فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ يعني أن ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وإنما آثروا أتباعهم ما هم عليه من الهوى وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[5].

وقيل أيضاً: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ﴾ أي: الكفار الطالبون للأهدى في الإتيان به، ولما كانت الاستجابة تتعدى بنفسها إلى الدعاء، وهذا خطاب الى رسول الله (ﷺ)، ﴿لَكَ﴾ أي: يطلبوا الإجابة ويوجدوها في الإيمان أو الإتيان بما ذكرته لهم ودعوتهم إليه مما هو أهدى،

---

(1) سورة الزمر: آية/٢٣.

(2) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج١/ص٦٩.

(3) صحيح مسلم، كتاب الاقضية، باب نقض الاحكام الباطلة ورد المحدثات، ج٣/ص١٣٤٣، رقم الحديث: ١٧١٨.

(4) سورة قصص: آية/٥٠.

(5) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج٣/ص٣٦٧.

﴿فَٱعۡلَمۡ﴾ أنت، ﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ﴾ أي: بغاية جهدهم فيما هم عليه من الكفر والتكذيب، ﴿أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ أي: دائماً، وأكثر الهوى مخالف للهدى فهم ظالمون غير مهتدين، بل هم أضل الناس، وذلك معنى قوله: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ﴾ أي: منهم، ولكنه قال: ﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ﴾ أي: بغاية جهده، ﴿هَوَىٰهُ﴾ تعليقاً للحكم بالوصف؛ والتقييد وبقوله: ﴿بِغَيۡرِ هُدٗى﴾ أي: بيان وإرشاد، ﴿مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: الملك الأعلى الذي له جميع صفات الكمال دليل على أن الهوى قد يوافق الهدى، والتعبير بالإفتعال دليل على أنْ التابع وإنَّ كان ظالماً قد لا يكون أظلم. ولما كانت متابعة الهوى على هذا الصورة ظلماً، وصل به قوله مظهراً لئلا يدعى التخصيص بهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: الملك الأعظم الذي لا راد لأمره، ﴿لَا يَهۡدِي﴾ وأظهر موضع الإضمار للتعميم فقال: ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: وإن كانوا أقوى الناس لاتباعهم أهوائهم[1].

٣) قال (ﷻ): ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2].

وجاء في قوله تعالى: (﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي: طريق واضح، ويقال: على أمر بين، والشرعة هي المذهب والملة، وكذلك الشريعة، وقوله: ﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾، أي: اتبع الشريعة التي جاءتك من الله تعالى، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، في التفسير: أنْ المشركين كانوا يقولون: يا محمد، ارجع إلى دين آبائك فإنَّه أولى من الدين الذي جئت به)[3].

---

(1) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج١٤/ص٣١١-٣١٢.

(2) سورة الجاثية: آية/١٨.

(3) تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ج٥/ص١٣٩.

وذكر في قوله: ثُمَّ جعلناك على شَرِيعَةٍ، أي سنةٍ وطريقةٍ عظيمةِ الشَّأْنِ، وقوله: مِنَ الأمر، أي أمرِ الدينِ، وقوله: فاتبعها، أي بإجراءِ أحكامِها في نفسِك وفي غيرِك من غيرِ إخلالٍ بشيءٍ منَها، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي آراءَ الجهلةِ واعتقاداتِهم الزائغةَ التابعةَ للشهواتِ وهم رؤساءُ قريشٍ كانُوا يقولونَ له عليه الصلاة والسلام ارجعْ إلى دينِ آبائِك[1].

ومما جاء في القرآن الكريم مما يدل على ذمَّ من إبتدع في دين الله في الجملة، فمن ذلك:

أ- قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]، ومما وصاكم الله به أنْ هذا الإسلام هو طريق الله تعالى المستقيم فأسلكوه، ولا تسلكوا سبل الضلال، فتفرقكم، وتبعدكم عن سبيل الله المستقيم. ذلكم التوجه نحو الطريق المستقيم هو الذي وصَّاكم الله به؛ لتتقوا عذابه بفعل أوامره، واجتناب نواهيه[3].

ب- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[4]، إنَّ الذين فرقوا دينهم بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فرقاً وأحزاباً، إنك -أيها الرسول- بريءٌ منهم، إنَّما حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته[5].

---

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٨/ص٧١.

(2) سورة الأنعام: آية/١٥٣.

(3) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج١/ص١٤٩.

(4) سورة الأنعام: آية/١٥٩.

(5) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج١/ص١٥٠.

ت- قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[1]، وعلى الله بيان الطريق المستقيم لِهدايتكم، وهو الإسلام، ومن الطرق ما هو مائل لا يُوصل إلى الهداية، وهو كل ما خالف الإسلام من الملل والنحل. ولو شاء الله هدايتكم لهداكم جميعًا للإيمان[2].

ومما جاء في الأحاديث المنقولة عن رسول الله (ﷺ)، مما يدل على ذمَّ أهل البدع، وهي كثيرة تكاد تفوق الحصر، نذكر منها:

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ(رضي الله عنهما)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: (صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ)، وَيَقُولُ: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ)، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) ثُمَّ يَقُولُ: (أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ)[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)، قَالَ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)[4].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، أَنَّهُ قَالَ: (سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ)[5].

([1]) سورة النحل: آية/٩.

([2]) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج١/ص٢٦٨.

([3]) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ج٢/ص٥٩٢، رقم الحديث: ٨٦٧.

([4]) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة او سيئة ومن دعا الى الهدى او الضلالة، ج٤/ص٢٠٦٠، رقم الحديث: ٢٦٧٤.

([5]) صحيح مسلم، مقدمة الإمام مسلم، باب من الضعفاء والكذابين ومن يرغب عن حديثهم، ج١/ص١٢، رقم الحديث: ٦.

ومما جاء من أقوال السلف الصالح في ذمَّ أهل البدع وتحذيرهم منها:

مَا صَحَّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (ﷺ) أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ سُنَّتْ لَكُمُ السُّنَنُ، وَفُرِضَتْ لَكُمُ الْفَرَائِضُ، وَتُرِكْتُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ، إِلَّا أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَصَفَّقَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ: إِيَّاكُمْ أَنْ تَهْلِكُوا عَنْ آيَةِ الرَّجْمِ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: لَا نَجِدُ حَدَّيْنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَرَجَمْنَا)، وَفِي ما روي عَنْ حُذَيْفَةَ (ﷺ) قَالَ: (يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سبقاً بعيداً، وإن أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)[1].

المطلب الثالث: التنازع بين المسلمين و الجدال والخصومة في الدين

أولاً: التنازع بين المسلمين

١) التنازع لغةً:-

(نَزَعَ) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قَلْعِ شَيْءٍ، وَنَزَعْتُ الشَّيْءَ مِنْ مَكَانِهِ نَزْعًا، وَالْمِنْزَعُ: الشَّدِيدُ النَّزْعِ[2].

([1]) الاعْتِصَام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ج١/ص١٢٦.

([2]) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٥/ص٤١٥، مادة (نَزَعَ).

٢) التنازع اصطلاحاً:-

ويقال نازعته في كذا منازعةً، والمنازع هو المخالف، كأن كل واحد من المتخالفين ينزع ما في يد صاحبه أي يستخرجه. ونزاعاً، خاصمته وتنازعا فيه، وتنازع القوم أي اختلفوا[١].

(والموافقة بين المسلمين أصل الدّين. وأول الفساد ورأس الزّلل الإختلاف. وكما تجب الموافقة في الدين والعقيدة تجب الموافقة في الرأي والعزيمة، قال تعالى في صفة الكفّار: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[٢]، وإنَّما تتحد عزائم المسلمين لأنهم كلّهم يجمعهم التبرّء من حولهم وقوّتهم، ويتمحضون في رجوعهم إلى الله، وشهودهم التقدير، فيتحدون في هذه الحالة الواحدة)[٣].

وقد ذكر القرآن الكريم في مواضع عدة التنازع بين المسلمين، ومن هذه الآيات:-

١) قال (ﷻ): ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

جاء في قوله: ولقد صدقكم الله وعده، أي: بالنَّصر والظَّفر، وقوله: إذْ تحسُّونهم، أي: تقتلون المشركين يوم أُحدٍ في أوَّل الأمر، بإذنه، أي: بعلم الله وإرادته، حتى إذا فشلتم، أي: جَبنْتُم عن عدوِّكم، وتنازعتم، أي: اختلفتم في الأمر يعني: قول بعضهم: ما مقامنا وقد انهزم القوم الكافرون وقول بعضهم: لا نجاوز أمر رسول الله (ﷺ) وهذا الاختلاف كان بين الرُّماة الذين كانوا عند المركز، حيث أدى هذا الخلاف إلى التنازع والتفكك بين المسلمين، وعصيتم،

---

(١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ج١/ص٣١٧.

(٢) سورة الحشر: آية/١٤.

(٣) لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، ج١/ص٦٢٩.

(٤) سورة آل عمران: آية/١٥٢.

أي: الرَّسول بترك المركز، وقوله: مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تحبُّون، أي: من الظَّفر والنَّصر على أعدائكم، منكم مَنْ يريد الدنيا، أي: وهم الذين تركوا المركز وأقبلوا إلى الذَّهب، ومنكم مَن يريد الآخرة، أَيْ: الذين ثبتوا في المركز، ثمَّ صرفكم، أي: ردَّكم بالهزيمة، عنهم، أي: عن الكفَّار، ليبتليكم، أي: ليختبركم بما جعل عليكم من الدَّبرة فيتبيَّن الصَّابر من الجازع والمخلص من المنافق، وَلَقَدْ عفا عنكم، أي: ذنبكم بعصيان النبي (ﷺ) والهزيمة، والله ذو فضلٍ على المؤمنين، أي: بالمغفرة[1].

وورد أيضاً: (﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾ إياكم بالنصر، ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم، ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ بإرادته، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾ جبنتم عن القتال، ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ ﴾ اختلفتم، ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي أمر النبي(ﷺ) بالمقام في سفح الجبل للرمي فقال بعضكم نذهب فقد نصر أصحابنا وبعضكم لا نخالف أمر النبي(ﷺ)، ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة، ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم ﴾ الله، ﴿مَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ من النصر وجواب إذا دل عليه ما قبله أي منعكم نصره، ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا ﴾ فترك المركز للغنيمة، ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾ فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ عطف على جواب إذا المقدر ردكم للهزيمة، ﴿ عَنْهُمْ ﴾ أي الكفار، ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ ﴾ ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره، ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ﴾ ما ارتكبتموه، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالعفو)[2].

([1]) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج١/ص٢٣٧.

([2]) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط١، ج١/ص٨٧.

٢) قال (ﷺ): ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني: الحصب بالحجارة كما فعل بقوم لوط، والغرق كما أرسل على قوم نوح. يعني: إنَّ استكبرتم، وأصررتم، وكذبتم رسلي مثل ما فعل قوم نوح، أو فعلتم الفعلة التي فعل قوم لوط ثم قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني يخسف بكم كما خسف بقارون ومن معه، إنَّ استكبرتم واغتررتم بالدنيا كما فعل قارون، ثم قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يعني: الأهوال المختلفة، كما ألبس بني إسرائيل إنَّ تركتم أمر رسولي، واتبّعتم هواكم كما فعل بنو إسرائيل، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يعني يقتل بعضكم بعضاً بالسيف كما فعل بالأمم الخالية، إنْ فعلتم مثل ما فعلوا، وقيلَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ)، قَالَ: أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ، قَالَ: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ)، أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (هَذَا أَهْوَنُ أَوْ هَذَا أَيْسَرُ)[٢]، ويقال: عذابا من فوقكم يعني: سلطاناً جائراً، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ من سفهائكم يقلبون عليكم أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً، وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ يعني: الفتنة بين المحلتين أو القريتين، ثم قال: انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ يعني: نبين الآيات من البلاء والعذاب في القرآن لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ يعني: يعقلون ما هم عليه[٣].

---

(١) سورة الأنعام: آية/٦٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القران، باب قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ، ج٦/ص٥٦، رقم الحديث: ٤٦٢٨.

(٣) ينظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، ج١/ص٤٥٦.

وتفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ أي: من جهة السفل كما أغرق فرعون وخسف بقارون. وقيل من فوقكم ملوككم وأكابركم ورؤسائكم ومن تحت أرجلكم عبيدكم السوء وسفلتكم وسفهائكم وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معاً كما فعل بقوم نوح، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ من لَبِست عليه الأمر أي: خلطته من باب ضرب وأما لَبِست الثوب فمن باب علم، أو يخلطكم، ﴿شِيَعًا﴾ والشيعة كل قوم اجتمعوا على مذاهب مختلفة كل فرقة مشايعة لأمام فينشب بينكم القتال أي: يهيج ويظهر فهذا الخلط هو خلط اضطراب لا خلط اتفاق، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يقاتل بعضكم بعضا ومن سنة الله تعالى أنْ يذيق الكافرين بأس المؤمنين وبالعكس وأنْ يذيق بعض الكافرين بأس بعض وبعض المؤمنين بأس بعضهم كما هو في أكثر الأزمان والاعصار على حسب التربية المبنية على جماله وجلاله تعالى[1].

وفى الحديث: (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا)[2]، أراد بالسنة قحطا يعم أمته وبالغرق ما يكون على سبيل العموم كطوفان نوح (عليه السلام)[3].

([1]) ينظر: روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ج٣/ص٤٧.

([2]) صحيح مسلم، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب هلاك هذه الامة بعضهم ببعض، ج٤/ص٢٢١٦، رقم الحديث: ٢٨٩٠.

([3]) ينظر: روح البيان، أبو الفداء، ج٣/ص٤٧.

٣) قال (ﷻ): ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[١].

وجاء في تفسير ذلك: وأطيعوا الله ورسوله أطيعوا الله في هذه الأوامر المرشدة إلى أسباب الفلاح في القتال وفي غيرها، وأطيعوا رسوله فيما يأمر به وينهى عنه من شؤون القتال وغيرها، وقد كان لهم من العبرة في ذلك أنَّ الرماة عندما خالفوا أمره (ﷺ) في غزوة أحد، وهذا خطاب لجميع المسلمين، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم هذا للأمر بطاعة الله والرسول، فإنَّ الاختلاف والتنازع مدعاة الفشل، وأكثر أسبابه الضعف والجبن، وأمَّا قوله تعالى: وتذهب ريحكم فمعناه تذهب قوتكم، وترتخي أعصاب شدتكم فيظهر عدوكم عليكم، واصبروا إنَّ الله مع الصابرين أي: واصبروا على ما تكرهون من شدة، وما تلاقون من بأس العدو واستعداده وكثرة عدده وغير ذلك إنَّ الله مع الصابرين بالمعونة والتأييد، وربط الجأش والتثبيت، ومن كان الله معه فلا يغلبه شيء، فالله غالب على أمره، وهو القوي العزيز الذي لا يغالب[٢].

وذكر أيضاً في قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ معطوف على ما قبله، أي: اثبتوا عند لقاء الأعداء، وأكثروا من ذكر الله، وأطيعوا الله ورسوله في كل أقوالكم وأعمالكم، وفي كل ما تأتون وما تذرون، وقوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ نهيٌ لهم عن الاختلاف المؤدي إلى الفشل وضياع القوة بعد أمرهم بالثبات والمداومة على ذكر الله وطاعته، ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ على شدائد الحرب، وعلى مخالفة أهوائكم التي تحملكم على التنازع، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بتأييده ومعونته ونصره[٣].

---

(١) سورة الأنفال: آية/٤٦.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج١٠/ص٢٢-٢٣.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد طنطاوي، ج٦/ص١١٢-١١٣.

ثانياً: الجدال والخصومة في الدين

١) الجدال لغةً:-

والجَدَل: اللَّدَدُ فِي الخُصومة والقدرةُ عَلَيْهَا، وَقَدْ جَادَلَهُ مُجَادَلَةً وجِدَالًا، الجَدَل: مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ؛ وَالْمُجَادَلَةُ: الْمُنَاظَرَةُ وَالْمُخَاصَمَةُ، وَيُقَالُ: إنه لَجَدِل إذا كَانَ شَدِيدَ الخِصام[١].

٢) الجدال اصطلاحاً:-

(الجِدَال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة)[٢].

٤) الخصومة لغةً:-

خَصَمَ والخَصْم وَاحِد وجميعٌ، قَالَ الله (ﷻ): ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾[٣]، فَجَعَلَهُ جَمعاً، لأنه سُمِي بالمَصدَر، وَخَصيمُك الذي يُخاصِمكَ، وَجَمعهُ خُصَماء، والخُصومةُ: الأسِم من التَّخاصُم والإختَصَام، يقال: أختصَم القَوْمَ وَتَخَاصُموا، وَخَاصَمْ فُلان فلاناً، مُخَاصَمَةً وخِصاماً[٤].

٤) الخصومة اصطلاحاً:-

والخصومة هي من خصم ومخاصمة أخصمه من باب قتل إذا غلبته في الخصومة واختصم القوم خاصم بعضهم بعضا[٥].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١١/ص١٠٥، مادة (جادلَ).

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، ط١، ١٤١٢ هـ، ص١٨٩.

(٣) سورة ص: آية/٢١.

(٤) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي، ج٤/ص١٩١، مادة (خَصَمَ).

(٥) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ج١/ص١٧١.

قد نهى الله عن الجدال بغير علم، كقوله تعالي: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾[1]، ونهى عن الجدل في آياته، كقوله تعالي: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾[2]، وغير ذلك من الآيات القرآنية.

١) قال (ﷺ): ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾[3].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ بعض المؤمنين خرجوا لطلب العير ففاتهم فأمروا بالقتال فقالوا: ما تأهَّبنا للقاء العدو، فجادلوا بذلك طلباً للرخصة، أو لمجادلة المشركون في ذلك، ﴿فِي ٱلۡحَقِّ﴾ القتال يوم بدر[4].

وقوله تعالى: (يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ في إيثارك الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقي العير عليه. بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ أنهم ينصرون أينما توجهوا بإعلام الرسول عليه الصلاة والسلام. كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ أي يكرهون القتال، وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم إذ روي أنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان، وفيه إيماء إلى أن مجادلتهم إنما كانت لفرط فزعهم ورعبهم)[5].

---

(١) سورة آل عمران: آية/٦٦.

(٢) سورة غافر: آية/٣٥.

(٣) سورة الأنفال: آية/٦.

(٤) ينظر: تفسير العز بن عبدالسلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ج١/ص٥٢٥.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج٣/ص٥١.

٢) قال (ﷻ): ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾[١].

وجاء في تفسيرها: إنَّها نزلت في النَّضر بن الحارث[٢]، وجماعةٍ من قريش كانوا يُنكرون البعث ويقولون: القرآن أساطير الأولين ويجادلون النبي (ﷺ)، ويتبع في جداله ذلك، كلَّ شيطان مريد، متمرِّدٍ عاتٍ[٣].

وقوله تعالى: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ أي في شأن الله وقدرته وصفاته، والمعنى أنَّه يخاصم في ذلك فيزعم أنَّه غير قادر على البعث، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمه ولا حجة يدلي بها أو يؤول أو يمثل أو يعطل أو يشبه صفاته بصفات الخلق من دون حجة نيّرة أو يكابر في دين الله ويقول فيه ما لا خير فيه من الأباطيل وتقليد آراء الرجال، ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ فيما يقوله ويتعاطاه ويحتج به ويجادل عنه، ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ أي متمرد على الله متجرد للفساد، وهو العاتي، سمي بذلك لخلوه عن كل خير)[٤].

---

(١) سورة الحج: آية/٣.

(٢) النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة القرشي من بني عبد الدار، عداده فِي أهل الحجاز، وشهد حنينا مع رسول الله (ﷺ) وأعطاه مائة من الإبل، وَكَانَ من المؤلفة قلوبهم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ج٥/ص٣٠١.

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ج١/ص٧٢٧.

(٤) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ج٩/ص١٢.

ويروى (عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾[1])[2].

٣) قال (ﷻ):﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾[3].

وجاء في تفسير الآية (قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ سجل سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر، والمراد الجدال بالباطل، من الطعن فيها، والقصد إلى إدحاض الحق، وإطفاء نور الله تعالى، ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ﴾ أي تصرفهم، ﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ فإني إنْ أمهلتهم لا أهملهم بل أعاقبهم، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): يريد تجارتهم من مكة إلى الشام وإلى اليمن. وقيل: ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ﴾ ما هم فيه من الخير والسعة في الرزق فإنه متاع قليل في الدنيا)[4].

وجاء أيضاً: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فهم وحدهم من بين هذا الوجود الهائل يشذون وهم وحدهم من بين هذا الخلق العظيم ينحرفون ويتفككون، وهم، بالقياس إلى هذا الوجود، أضعف وأقل من النمل بالقياس إلى هذه الأرض. وهم حين يقفون في صف يجادلون في آيات الله ويقف الوجود الهائل كله في صف معترفا بخالق الوجود مستندا إلى قوة العزيز الجبار، هم في هذا الموقف مقطوع بمصيرهم، مقضي في أمرهم مهما تبلغ قوتهم ومهما يتهيأ لهم من أسباب المال والجاه والسلطان، ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ فمهما تقلبوا، وتحركوا، وملكوا، واستمتعوا، فهم إلى اندحار وهلاك وبوار. ونهاية المعركة معروفة، إن كان ثمت معركة يمكن أن تقوم بين قوة الوجود وخالقه، وقوة هؤلاء الضعاف المساكين ولقد سبقتهم أقوام وأحزاب

([1]) سورة الزخرف: آية/٥٨.

([2]) الجامع الكبير، الترمذي، ابواب تفسير القران، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الزُّخْرُفِ، ج٥/ص٢٣٢، رقم الحديث: ٣٢٥٣، قال الترمذي: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

([3]) سورة غافر: آية/٤.

([4]) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٥/ص٢٩٢.

على شاكلتهم، توحي عاقبتهم بعاقبة كل من يقف في وجه القوة الطاحنة العارمة التي يتعرض لها من يعرض نفسه لبأس الله[1].

ومما ورد عن السلف في ذمَّ الجدال:

فعَن ابْن عَبَّاس (ﷺ)، فِي قَوْله(ﷻ): ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ﴾[2]، قَالَ: أَمر الله الْمُؤمنِينَ بِالْجَمَاعَة ونهاهم عَن الِاخْتِلَاف والفرقة، وَأخْبرهمْ أَنما هلك من كَانَ قبلهم بالمراء والخصومات فِي دين الله (ﷻ)، وقَالَ مَالك بن أنس(ﷺ)[3]، وَذكر الْجِدَال فِي الدّين فَأنكرهُ، وَنهى عَنهُ قَالَ: أَو كلما جَاءَ رجل أجدل من رجل تركنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيل (عليه السلام) إِلَى مُحَمَّد (ﷺ)،

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ، ج٥/ص٣٠٦٩.

(2) سورة آل عمران/ آية/١٠٥.

(3) هُوَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ، حُجَّةُ الأُمَّةِ، إِمَامُ دَارِ الهِجْرَةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكِ بنِ أَبِي عَامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ بنِ غَيْمَانَ بنِ خُثَيْلِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ، وَهُوَ ذُو أَصْبَحَ بنُ عَوْفِ بنِ مَالِكِ بنِ زَيْدِ بنِ شداد بن زُرْعَةَ، سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ج٧/ص١٥٠.

وَقَالَ مَعْرُوف الْكَرْخِي(رحمه الله تعالى)[1]: إِذا أَرَادَ الله تَعَالَى بِعَبْد خيراً فتح لَهُ بَاب الْعَمَل، وَإِذا أَرَادَ الله بِعَبْد شرا أغلق عَلَيْهِ بَاب الْعلم، وَفتح عَلَيْهِ بَاب الجدل[2].

٤) قال (ﷻ): ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾[3].

وجاء في تفسير قوله: (وَجادَلُوا يعني خاصموا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا يعني ليبطلوا بِهِ الْحَقَّ الذي جاءت به الرسل فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ يعني أنزلت بهم من الهلاك ما هموا هم بإنزاله بالرسل وقيل: معناه فكيف كان عقابي إياهم أليس كان مهلكا مستأصلا)[4].

---

(1) معروف الكرخي أبو محفوظ معروف بن فيروز، وقيل الفيروزان، وقيل علي، الكرخي الصالح المشهور، وهو من موالي علي بن موسى الرضا(ﷺ)، وكان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدبهم وهو صبي، فكان المؤدب يقول له: قل ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فضربه المعلم على ذلك ضرباً مبرحاً فهرب منه. وكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه، ثم إنه أسلم على يد علي بن موسى الرضا(ﷺ)، ورجع إلى أبويه فدق الباب، فقيل له: من بالباب فقال: معروف، فقيل له: على أي دين فقال: على الاسلام، فأسلم أبواه. وكان مشهوراً بإجابة الدعوة، وقال محمد بن الحسين، سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في النوم بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك فقال: غفر لي، فقلت: بزهدك وورعك فقال: لا بل بقبول موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء. وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف قال: كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس، فقال في خلال كلامه: من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه الله جملة، ومن أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه، وأقبل بوجوه الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتاً ما، فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا، وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال: يكفيك هذا موعظة إن اتعظت، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٥/ص٢٣١-٢٣٢.

(2) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، الرياض، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ج٢/ص٤٨٧-٤٨٨.

(3) سورة غافر: آية/٥.

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج٤/ص٦٨.

وورد أيضاً: (﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ أي جادلوا رسلهم بالباطل ليزيلوا ويبطلوا به الحق الواضح الجلي، ﴿فَأَخَذۡتُهُمۡ﴾ أي فأهلكتهم إهلاكاً مريعاً، ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ استفهام تعجيب أي فكيف كان عقابي لهم؟ ألم يكن شديداً فضيعاً)[1].

٥) قال (ﷺ): ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾[2].

وورد في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ وليعلم الذين يجادلون في آيات الله، ويكذبون بالبعث والجزاء ليعلموا يومئذ ما لهم من محيص، أي ما لهم من مفر، ولا ملجأ)[3].

وجاء أيضاً في قوله تعالى: (﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ أي لينتقم منهم ويعلم حينئذ الذين ينازعون في آيات الله مكذبين بها أنه لا مفر ولا مهرب ولا ملجأ من عذاب الله، فإنهم مقهورون بقدرة الله وسلطانه)[4].

([1]) صفوة التفاسير، الصابوني، ج٣/ص٨٦.

([2]) سورة الشورى: آية/٣٥.

([3]) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ج١٣/ص٦٢.

([4]) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، ج٢٥/ص٧٤.